الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2
كلية الآداب واللغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

التنوعات اللهجية في مفردات الحديث النبوي

دراسة تداولية للأحاديث النبوية في كتب غريب الحديث

رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الدراسات اللغوية

إعداد الطالب:
قزولة بشير

إشراف الدكتور:
حسين بن زروق

السنة الجامعية: 2015 / 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي الكريمين،
والى زوجتي العزيزة ،والى إخوتي الأفاضل،
وأصدقائي و أهلي جميعا.

شكر وعرفان

مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم:

« من لم يشكر الناس لم يشكر الله »»

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور حسين بن زروق الذي أبى إلا أن يكرمني بقبوله و استعداده للإشراف على بحثي ، و على ثقته التي و ضعها في، وعلى مساندته لي معنويا،وتشجيعاته لي،وحثّه على الجدّ و المثابرة،فله منّي كلّ الشّكر و الامتنان .

إلى كل الزملاء والزميلات,إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

وللآخرين الذين غابت أسماؤهم عني

إلى كل هؤلاء الشكر و التقدير و الاحترام .

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة و السلام على سيّد المرسلين، سيّدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحابته الطيّبين الطاهرين أمّا بعد :

النبيُّ محمد صلّى الله عليه وسلم عندما ابْتعثه الله بالرسالة، كانت معجزته غير معجزات الأنبياء قبله، فقد أوحى الله له كتابا هو كلامه، أخرس به جهابذة اللّغة في ذلك الوقت، وتحدّاهم أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا وهم أصحاب المعلقات الطوال، وسوقهم عكاظ ومربد، وتجارتهم الكلام وقد شهدوا له بالإعجاز والبلاغة، وها هو الوليد بن المغيرة الذي يقول عن نفسه: "فَوَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْزِهِ وَلَا بِقَصِيدِهِ وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ "[1] يقول عن القرآن: "وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلَامًا – أي القرآن الكريم – مَا هو مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنّه لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ". [2]

ولكي تتِمّ الرسالة ويُبلّغ الدّين على أحسن وجه، كان من الطبيعي أن يكون النبي صلّى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة، وأكملها لسانا وأعلاها بيانا، فكلامه هو المُفسّر والشارح لكلام الله، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولهذا جاءت بلاغة النبي صلّى الله عليه وسلم بعد بلاغة القرآن، وكلامه بعد كلام الله تعالى، من حيث الاستدلال به في العلوم الشرعية، وكذا في العلوم اللغوية لكن بشروط أقرّها مجمع اللّغة العربية بالقاهرة أنهى بها نقاشا دام طويلا.[3]

ولا يُعلم أنّ هذه الفصاحة كانت له صلّى الله عليه وسلم إلا توفيقًا من الله وتوقيفًا، إذ ابتثعه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة فقد كان صلّى الله عليه وسلم، كأنّما تكاشفه أوضاع اللّغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها، فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثمّ لا يكون إلا أفصحهم خطاباً، وأسدهم لفظًا، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عُرف لقد كانوا نقلوه وتحدثوا به واستفاض فيهم[4]، وقد

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت. سامي بن محمد سلامة، د. طيبة للنشر والتوزيع، ط.2 (1420هـ – 1999م) ج 8 ص 267

[2] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي شمس الدين، ت.أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، د. الكتب المصرية، القاهرة، ط.2. (1384هـ – 1964م) 19 ص74

[3] انظر ص 79

[4] تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، د. الكتب العلمية، ط.1، بيروت، 2000 2 ص 225. 226

أوتي جوامع الكلم، وأتى بعبارات لم تعرفها العرب قبله، فكانت تأتيه الوفود العربية على اختلاف شُعُوبهم وقبائلهم، وتَبَاين بُطونهم وأفخاذهم وفصائِلهم، ويتكلمون معه بلهجاتهم فيفهمها، ثمّ يخاطبهم بلغتهم التي نشأوا عليها في بيئاتهم، حتى قال له علي رضي الله عنه وقد سمعه يخاطب وفد بني نهد: "يَا رَسُولَ الله نَحْنُ بَنو أَبٍ وَاحِد، ونَرَاكَ تُكَلِّم وُفودَ العَرَبِ بِما لا نَفْهَمُ أَكْثَرَه" قَال: « أَدَّبَنى رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْديبي، ورُبِّيتُ في بَني سَعْد"[1]، ومن هنا وُجدت الكثير من الظواهر اللغوية التي تُنسب إلى اللّهجات العربية في حديث الرسول صلّى الله عليه وسلم، منها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، والذي يهمّنا في هذا البحث هو الجانب المعجمي، أي المفردات التي جاءت في حديث النبي ونَسَبها العلماء إلى لهجات عربية، ولأنّ النبي عليه السلام قرشي اللّهجة، أردت أن أبحث عن اللّهجات العربية الأخرى في كلامه ومُركّزا عليها دون أن أتجاهل لهجته صلّى الله عليه وسلم.

وبعد التنقيب واستشارة جملة من أساتذتي اخترت أن يكون بحثي في هذا المجال؛ وعنونته بـ: " **التنوعات اللّهجية في مفردات الحديث النبويّ دراسة تداولية للأحاديث النبوية في كتب غريب الحديث** "

والذي دفعنا إلى اختيار هذا البحث ما يلي:

– خدمة الأصل الثّاني من أصول اللّغة العربية وهو الحديث النبويّ الشّريف، والإسهام في إبراز خصائص لغته، وبهذا نكون من الداعمين للاعتماد والتعويل على الحديث النبويّ الشّريف والاستشهاد به ضد من رأى عدم الاستشهاد به .

– الرغبة في الكشف عن المفردات التي جاءت في أحاديث النبي صلّى الله عليه وسلم ونُسبت إلى اللّهجات العربية، والبحث عنها في بطون كتب الحديث وشروحه وغريبه من خلال جهود العلماء وعَزْوهم لهذه المفردات إلى لهجاتها.

– محاولة إيجاد سياقات لغوية وردت فيها هذه المفردات من خلال الأشعار والخطب والأمثال التي زامنت النبي صلّى الله عليه وسلم أو سبقته أو كانت بعده، ومن ثمّ معرفة تداول واستعمال هذه المفردات من حيث المعنى.

[1] نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة رافع الطهطاوي، د. الذخائر القاهرة، ط.1. 1419هـ، ص 420

– التعرف على جغرافيا الجزيرة العربية وأهم مواطنها، وكذا القبائل العربية القديمة التي كانت تسكن شبه الجزيرة العربية وإبراز بعض الاختلافات اللّهجية بينها من خلال المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

– التعرف على الحديث النبويّ الشّريف ومراحل تدوينه وأهم ما دُوِّن منه من كتب متون الحديث الكبرى، والتطرّق إلى النقاش الكبير الذي دار بين العلماء حول الاستشهاد بالحديث النبويّ الشّريف، وما هي النتائج التي وصل إليها العلماء في هذا الباب ؟.

– حُبُّنا للنبي صلّى الله عليه وسلم، من خلال معرفة شمائله، والرغبة في إيصالها إلى كل العالم خاصة في هذا الوقت الذي تكالب فيه الكثير ممن يعادي هذا الدين ويريد أن يحطّ من قدر الرسول محمد صلّى الله عليه وسلم، وأنّى لهم ذلك، والفصاحة النبويّة من أهم شمائل النبي الأميِّ صلّى الله عليه وسلم.

– ومما زاد من اهتمامي بهذا الموضوع قلة الدراسات التي خَصّصْتُ للبحث في التنوعات اللّهجية في الحديث النبويّ وبعد اطلاعي وبحثي في المكتبات والمواقع الالكترونية، لم أجد إلا دراستين لم أستطع الحصول على نسخة منهما، أما الأولى فهي كتاب للدكتور أحمد الفخراني، عنوانه اللّهجات العربية في روايات غريب الحديث و الأثر، دراسات صوتية و صرفية ونحوية، مكتبة المتنبي، (2007م)، وهذا الكتاب حسب عنوانه يدرس الجوانب الصوتية و الصرفية و النحوية، وهو خلاف بحثي هذا الذي أدرس فيه الجانب المعجمي، و الدراسة الثّانية هي رسالة دكتوراه عنوانها : اللّهجات العربية في كتب غريب الحديث حتى نهاية القرن الرابع الهجري للأستاذ صباح علي سليمان، جامعة بغداد.

وقد انطلق البحث من وراء إشكالية عامة مفادها:

– ماهي التنوعات اللّهجية في مفردات الحديث النبويّ؟ وكيف كان تداول هذه المفردات في مدونات اللّغة العربية؛ من قرآن كريم و حديث نبوي شريف وكلام العرب؛ شعرا كان أو نثرا؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية:

– ما معنى اللّهجة ؟ وهل هناك علاقة بين اللّهجة واللّغة ؟ وهل كان مقصود القدماء عند استعمالهم لمصطلح اللّغة يعنون به مفهوم اللّهجة في العصر الحديث ؟

– كيف كانت جغرافيا الجزيرة العربية وما هي القبائل العربية التي سكنتها ؟ ومن أين تنحدر أصول القبائل العربية ؟ وما هي المستويات اللغوية التي اختلفت اللّهجات حولها ؟

– ما هو الحديث النبويّ الشّريف وما هي أهم مدوناته ؟ وهل يعتبر الأصل الثّاني بعد القرآن الكريم من حيث الاستشهاد به ؟

وقد قسّمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

أما الفصل الأول فقد عنونته باللّهجات العربية القديمة، حيث تطرّقت فيه إلى مفهوم اللّغة واللّهجة والعلاقة بينهما، ثمّ ذكرت موقف العلماء من اللّهجات، كما تحدثت عن الدراسات القديمة التي تناولت اللّهجات، وانتقلت بعدها إلى جغرافيا القبائل العربية فتعرّضت إلى الجزيرة العربية وأقسامها الكبرى، ثمّ فصّلت أكثر فتحدثت عن تقسيم القبائل العربية المشهور (العدنانيون والقحطانيون) وذكرت القبائل التي تنتمي إليهما، وموطن كل قبيلة على حدا، وفي آخر هذا الفصل تحدثت عن أسباب نشأة اللّهجات العربية ومستويات الاختلافات اللّهجية.

أما الفصل الثّاني فقد خصّصته للحديث النبويّ الشّريف وفيه عرّفت الحديث لغة واصطلاحا، وبيَّنت فيه فصاحة النبي صلّى الله عليه وسلم من خلال أقوال بعض علماء اللّغة الذين انبهروا أمام بلاغته، وبعض النماذج التي تؤكد ذلك، ورأيت أنّه من المهم أن أتكلم عن تدوين الحديث والمراحل التي مرّ بها، وتعرّضت فيما بعد لأهم الكتب التي أُلّفت في الحديث النبويّ الكبرى، وختمت هذا الفصل بمسألة الاستشهاد بالحديث النبويّ، وموقف اللغويين منه ثمّ موقف النحاة الذي انقسم إلى ثلاثة أقسام، المجيزون والمانعون والقسم الذي وقف وسطا بينهما، ثمّ رددت على الدعاوي التي احتج بها المانعون للاستشهاد.

وفي الفصل الثّالث والأخير جعلت مدخلا موجزا للتداولية؛ تناولت فيه بعض الجوانب النظرية كمفهوم التداولية و علاقة التداولية بالسياق وكذا المفردة في الاستعمال والتداول ولم أُطِ كثيرا لأن هذا الفصل هو فصل تطبيقي، وعندما مهّدت للتداولية بهذا الجانب النظري انتقلت إلى الموضوع الأساسي لهذا الفصل؛ حيث وضعت دراسة تطبيقية تداولية لبعض المفردات التي وُجدت في أحاديث النبي صلّى الله عليه وسلم، وتنتمي إلى لهجات عربية وكانت خطتي فيه أن أذكر المعنى المعجمي للمفردة ثمّ آتي بالسياقات والاستعمالات اللغوية لهذه المفردة وأوضح المعاني والدلالات المقصودة في كل سياق أورده، وأنهي بخلاصة

أحاول إيجاد العلاقة بين الدلالات التي قصدها النبي صلّى الله عليه وسلم، والمعنى المتداول في الاستعمالات اللغوية الأخرى من شعر وخطب وأمثال عربية، وفي آخر هذا الفصل جعلت جدولا إحصائيا للمفردات المدروسة، ويقابل كلّ مفردة معناها في الاستعمال النبويّ وانتماؤها اللّهجي ثمّ معناها الموجود في اللّهجات الأخرى إن وجد، وبناء على هذا الجدول وضعت مخططا دائريا ثلاثي الأبعاد للنسبة المئوية للهجات العربية في مفردات الحديث النبويّ، وختمت هذا كله بخلاصة.

وفي الأخير جعلت خاتمة لهذا البحث، وضعت فيها الكثير من النتائج التي توصلت إليها حول الحديث النبويّ اللّهجات العربية بصفة عامة والتنوعات اللّهجية في الحديث النبويّ بصفة خاصة.

وقد اتبعت في هذا البحث عدة مناهج حسب المواضيع المطروقة في البحث فمن ذلك: المنهج التاريخي عند الكلام عن العرب وقبائلها: و المنهج الوصفي عند الكلام عن جغرافية القبائل العربية ومميزاتها وكذا كتب الحديث النبويّ ، وكان المنهج الاستقرائي في تتبعي للهجات في مفردات الحديث النبويّ حيث تتبعت كتب الحديث وغريبه لكي أعثر على بغيتي التي تقوم عليها الدراسة، وفي آخر هذا البحث استعملت المنهج التحليلي في دراسة المفردات من حيث التداولية وحاولت من خلال هذا التحليل الخروج ببعض النتائج المهمة في هذا المجال.

وكان اعتمادي في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع، فمن ذلك:

كتب غريب الحديث مثل: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: والفائق في غريب الحديث للزمخشري، وكتاب غريب الحديث للخطابي، وكتاب غريب الحديث كذلك لأبي عبيد القاسم بن سلام كما استعنت بكتب متون الحديث المشهورة وهي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داوود، وسنن ابن ماجه، والمَوَطَّأ، ومسند الإمام أحمد، وذلك لتوثيق الأحاديث الموجودة في كتب الغريب المذكورة.

كتب اللّغة: و من ذلك معاجم اللّغة العربية مثل: العين، وجمهرة اللّغة، معجم مقاييس اللّغة، ولسان العرب، وتاج العروس وغيرها.

ومن الدراسات المعاصرة التي اعتنيت بها: الحديث النبويّ في النحو العربي لمحمود فجال واللّهجات العربية في القراءات القرآنية لعبده الراجحي، وموقف النحاة من الاستشهاد

بالحديث النبويّ لخديجة الحديثي، وفي اللّهجات العربية لإبراهيم أنيس و الحجاج في القران لعبد الله صولة وغير ذلك من الدراسات.

واعترضتني في انجاز هذا البحث صعوبات تمثّلت في قلّة المراجع اللغوية التي تناولت اللّهجات العربية القديمة من حيث المفردات وانتماؤها اللّهجي، إلا ما كان منثورا في المعاجم بقلة، هذا بصفة عامة، أما اللّهجات في الحديث النبويّ فيصعب كثيرا على الباحث أن يجد ما يصبو إليه، فأغلب من تناول هذا الموضوع في الدراسة يضع بين أيدينا مثالا أو مثالين، وهذان المثالان هما نفسهما يتكرران في جميع الكتب التي تناولت هذا الموضوع.

والمشكلة الأكبر التي اصْطدَمت بها هي عدم عَزْو المفردات المعجمية إلى قبائلها عند اللغويين القدامى مثل ابن جني وابن فارس وغيرهم من المعجميين فقد يذكر لك أنّها لغة ولا ينسبها إلى لهجة معينة، أمّا عند المَحْدثين فقد تكون شبه مستحيلة لبعد الزمن وعدم معايشة هؤلاء العرب، وهذه القضية ليست خاصة بالحديث فقط فهي عامة ويشكوا منها أغلب من تناول دراسة اللّهجات القديمة.

أما من ناحية الدراسة التطبيقية، فلم أستطع الحصول على دراسة تتناول التداولية من جانبها المفرداتي والمعجمي، أي تداول معاني المفردات المعجمية، وهنا وقعت في مشكلة المنهج المتّبع في دراسة المفردات المعجمية دراسة تداولية، إلى أن فتح الله عليّ بكتاب لِلّغوي التونسي عبد الله صولة عنوانه الاحتجاج في القرآن، وفيه وجدت الكثير مما كنت أصبو إليه، فله الشكر على ما أمدّنا به.

وخلاصة القول أنّني بذلت قُصارى جهدي في حدود الأجل المقيد، واجتهدت قدر المستطاع لأجعل هذا العمل يتناسب مع متطلبات البحث العلمي.

وأخيرا فشكري وامتناني موصول إلى أستاذي الكريم: الدكتور حسين بن زروق، الذي قبل الإشراف على هذا البحث والسهر على إكماله، ولا أنْس له تشجيعه وتوجيهاته القيّمة طيلة مدة إنجاز البحث.

ولا يفوتني التقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا عناء قراءة هذه الرسالة، وقدموا ملاحظاتهم المفيدة، التي تزيد البحث رونقا وجمالا، فلهم مني جزيل الشكر والامتنان.

الفصل الأول

اللّهجات العربية القديمة:

المبحث الأول: اللّغة واللّهجة مفاهيم وإشكاليات

المبحث الثّاني: جغرافيا القبائل العربيّة .

المبحث الثّالث: القبائل العربية ومواطنهم

المبحث الرابع: نشأة اللّهجات العربية

المبحث الخامس: مستويات الاختلافات اللّهجية

المبحث الأول:

اللّغة واللّهجة مفاهيم وإشكاليات

أ) تعريف اللّغة:

أ- 1 لغة:

لَغا: يَلْغو لَغْواً، أي قال باطلاً. يقال: "لَغَوْتُ باليمين"، واللَغا: الصوت، مثل الوَغا. ويقال أيضاً: " لَغِيَ به يَلْغى لَغاً، أي لهج به". ولَغِيَ بالشراب أكثر منه. وألغيت الشئ: أبطلته.[1]

قَالَ الأَزهري: " واللّغة مِنَ الأَسماء النَّاقِصَة، وأَصلها لُغْوة مِنْ لَغا إِذا تَكَلَّمَ ".

وَفِي الْحَدِيثِ: "مَن قَالَ يَوْمَ الجُمعة والإِمامُ يَخْطُبُ لِصَاحِبِهِ صَهْ فَقَدْ لَغا"؛ أَي تَكلَّم.[2]

أ -2 اصطلاحا:

توجد عدة تعريفات تحاول تحديد مفهوم اللّغة، فعلماء العرب القدامى كان لهم سبق في تحديد اللّغة تحديدا دقيقا ومن هؤلاء العلماء:

ابن جني الذي عرف اللّغة بقوله: " أما حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم ". [3]

أما ابن خلدون فيضع تعريفا دقيقا للّغة فيقول:

" اعلم أنّ اللّغة في المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللّسان؛ وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم". [4]

ولعلماء الغرب تعريفاتهم أيضا أهمها:

عند فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure): " اللّغة تنظيم من الإشارات المفارقة".

---

[1] الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، الجوهري، ت.أحمد عبد الغفور عطار، د. العلم للملايين بيروت، ط. 4 (1407هـ - 1987م) " 6 ص 2483

[2] لسان العرب، ابن منظور، د. صادر، بيروت، ط. 3. 1414هـ، ج 15 ص 5251 252

[3] الخصائص، ابن جني، ت. محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 4. 1999. ج1 ص 34

[4] تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ت. خليل شحادة، د. الفكر، بيروت، ط.2. 1408هـ - 1988م ج1 ص 753

عند ادوارد سابير (Edward Sapir): " اللّغة وسيلة لا غريزية خاصة بالإنسان يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات عبر رموز يؤديها بصورة اختيارية وقصدية". [1]

والملاحظ أنّ مفردة (لغة) قد تعددت معانيها عند اللغويين، القدماء منهم والمحدثين؛ ومفهوم اللّغة عند هؤلاء كله تقريبا يدور حول المعاني التالية:

1- الكلام العام.

2- الاستعمال العادي في مقابل المعنى الاصطلاحي لها.

3- اللّغة العربية الفصحى.

4- في التأليف المعجمي توضع في مقابل قواعد النحو والصرف.

5- بمعنى كلمة.

6- تعبير بديل جائز.

7- لهجة.

8- تعبير محليّ لهجي.[2]

ب) تعريف اللّهجة:

ب -1 لغة:

واللّهجة طرف اللسان وجرس الكلام، يقال فلان فصيح اللّهجة واللّهجة هي لغته التي جبل عليها فاعتادها، وجبل عليها ونشأ عليها واللّهجة اللسان.[3]

وفي الحديث: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ».[4]

---

[1] اللّهجات العربية في كتاب سيبويه، (رسالة دكتوراه)، عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف، جامعة أم القرى، (2002) 2(3

[2] اللّهجات العربية القديمة، شيم رابين، ترجمة عبد الكريم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط.1(2002) 46 47

[3] لسان العرب، ابن منظور، ج5 ص 197، و انظر: الصحاح للجوهري، ج 1 ص 339

[4] المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ت.مصطفى عبد القادر عطا، د. الكتب العلمية، بيروت، ط.1 (1411هـ - 1990م) ج 3 ص 385

ب -2 اصطلاحا:

يعرفها الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح: " هي نظام لغويّ بأجمعه، وهي اللّسان الإقليمي الذي له خصوصيات لغوية تخالف اللّهجات الأخرى وكلّها تنتمي إلى لسان أقدم منها " [1].

يعرفها إبراهيم أنيس: "هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة".[2]

ويعرّفها إبراهيم مدكور بأنّها: "استعمال خاص للغة في بيئة معينة ولا يكاد ينتشر استعمال لغة حتى تتعدد لهجاتها فتظهر لهجة الحضر إلى جانب لهجة الرّيف وتتميز لهجة الشمال عن لهجة الجنوب واللّهجات وليدة ظروف مختلفة جغرافية، اقتصادية، سياسية واجتماعية.....". [3]

يقول أنطوان مييه (Antoine Meillet): " يصعب على علم اللّغة أن يضع حدودا ثابتة تقف عندها كلمة لهجة، وأقرب الحدود هو أن يقال: أنّه إذا كانت مجموعة من اللّهجات تنتمي إلى لغة أمّ وكانت هذه اللّغة الأمّ نفسها ما تزال على قيد الحياة مستعملة فإن أيّة واحدة من فروعها غير أهل لأن تسمى لغة بل تسمى لهجة وتظل هذه التسمية قائمة حتى تختفي اللّغة الأم من الاستعمال ".[4]

وهي كذلك: "نظام معين يتفرع عن لغة من اللغات ويتميز عنها بخصائص معينة".[5]

ج) العلاقة بين اللّغة واللّهجة:

إن كلّ ما يصدق عليه أنّه لهجة يصدق عليه أنّه لغة وليس العكس، أي أنّ بينهما عموما وخصوصا مطلقا، فأيّة لهجة يسفر عنها البحث في بيئة أو وسط ما، إذا أُخذت منفردة على

---

[1] السماع اللغوى العلمى عند العرب ومفهوم الفصاحة، عبد الرحمان الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، 2007ne ص 156

[2] في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، د. الفكر العربي، مطبعة الرسالة، ص 15

[3] لهجات العرب، أحمد تيمور باشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 07

[4] اللّهجات العربية في الكتاب لسيبويه، أصواتا وبنية (رسالة ماجستير)، صالحة راشد غنيم آل غنيم جامعة أم القرى، 1403هـ، ص 31 2

[5] مجموع المصطلحات العلمية و الفنية التي أقرّها المجمع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1973، المجلد 515 ص 221

حدا ودُرست تصدق عليها كل التعريفات التي تصدق على اللّغة، وتزيد اللّهجة قيدا أنّها لغة منظور إليها من جانب معين وهو الارتباط بغيرها غير أنّ اللّغة ترتبط بما يندرج عنها من لهجات أيضا، ضرورة أنّ الارتباط من الأمور المتضايِفة لا يُتصور إلا بين طرفين، ولكنَّ اللّغة يمكن أن تكتفي بنفسها، ولا كذلك اللّهجة وهناك فروقات بين المصطلحين على أساس عدة أمور منها:

ج- 1 من حيث العناصر والخصائص:

وقد رأينا لكلا النظامين (اللّغة واللّهجة) من العناصر والخصائص ما يجعله مكتفيا بنفسه إذا درس على حدا، ولكن حين نذهب لجمع كل العناصر والخصائص التي يقوم عليها نظام ما، بحيث تقتصر عليه وحده، وتميزه عن غيره من الأنظمة، ويفصل على أساسها بينه وبين غيره؛ نجد أنّ هذه العناصر في اللّهجات متداخلة متشابكة مختلطة تتوزع فيها بدرجات متفاوتة بحيث يبدو من المتعذر إقامة حدود حاسمة بين لهجة وأخرى؛ لأن عناصر هذه اللّهجات واحدة تقريبا، والفوارق بينها يسيرة، فما هو مشترك فيها مع غيرها أكثر مما تنفرد به وليس ملكا لها وحدها فليس من خصائصها التي تقتصر عليها ولا يعد من مكوناتها وإذا عزلنا ما فيها من عناصر مشتركة لا تعدّ منها وما فيها من عناصر خاصة بها تمتاز بها عن غيرها؛ وجدنا هذه الأخيرة غير كافية لتكوين نظام لغوي لا يحتاج إلى غيره، وحينئذ لا تكتفي اللّهجة بنفسها.

أما اللّغة فعناصرها تتوزع وتشيع في كل اللّهجات التي تندرج تحتها، وفيها ما في كل لهجة وزيادة ووجود هذه العناصر في لهجات اللّغة يقضي بأنّها عناصر اللّغة وخصائصها استعارتها منها اللّهجات وحينما نعزل هذه العناصر ونحلّلها نجدها كافية لقيام نظام لغوي دون حاجة إلى اللّهجات تتفرع عنها. [1]

ج- 2 من حيث المكان:

نجد أنّ بيئة اللّهجة جزء من بيئة اللّغة بمعنى أنّ ما نعده بيئة لغوية لِلُغة ما يشتمل بيئات اللّهجات التي تتفرع من هذه اللّغة والحدود مفتوحة تقريبا بين اللّهجات، ولكنّها مغلقة تقريبا بين اللغات، ومن السّهل أن تحدد البيئة التي توجد فيها العربية أو الفرنسية مثلا وليس الأمر كذلك لو حاولت أن تحدد المدى الذي تصل إليه لهجة القاهرة مثلا في مصر،

[1] في اللّهجات العربية، محمد أحمد خاطر، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1979 ص 52

أو في الوطن العربي والحدود المكانية التي تفصل لغة عن لغة واضحة غالبا، وليست كذلك في اللّهجات. [1]

د) تداخل المفاهيم بين (اللّغة واللّهجة) عند المحدثين:

المتتبّع للدراسات الحديثة التي تناولت اللّهجات ومصطلح اللّهجة واللّغة، يقف على إشكالية كبيرة وهي الخلط بين المصطلحات، أو بمعنى أدقّ عدم الوضوح في المصطلحات، لاسيما وأنّ المصطلحات تتطور، وربما تتبدل معانيها؛ وأقصد بالتحديد مصطلَحَيْ (لغة ولهجة).

وفيما يخص لفظة لغة فقد تأول المحدثون ما كان يقصده بالفعل العلماء القدامى فقالوا بأنّ المقصود عندهم ما نُسمّيه في زماننا باللّهجة بالانكليزية (dialect) وليس كذلك عند العلماء الأولين، يقول سيبويه في كتابه [2]: " الهمزة إذا كانت مبتدأة فمحققة في كل لغة ".

" فكل هذا فيه اللّغة المطردة إلا أنّا لم نسمعهم قالوا إلا استروح إليه واستحوذ "

" واعلم أنّ قوما من ربيعة يقولون منهم.....وهذه اللّغة رديئة "

والناظر إلى هذه الأمثلة المتنوعة للفظة لغة والمتمعن في السياقات المختلفة التي وردت فيها، يجد أنّ سيبويه يطلق لفظة لغة في جميع هذه النصوص على: كيفية خاصة في استعمال العرب أو جماعة منهم لعنصر خاص من عناصر العربية؛ إمّا النطق بصوت معين أو استعمال لصيغة كلمة معينة أو لتركيب معين، ولا يطلقها على لهجة بأكملها أي على لسان خاص بقبيلة أو إقليم، ففي جميع هذه النصوص المقصود من كلمة لغة هو : طريقة استعمال جميع العرب أو أكثرهم أو الكثير منهم أو أفراد قلائل منهم لوحدة من وحدات العربية على اختلاف مستوياتها.

ويتضح هذا أكثر عندما تجد سيبويه ومن جاء بعده يقول عن الكثير من الألفاظ التي يختلف العرب في استعمالها أنّ لها لغتين – كما سبق – أو ثلاث لغات يقول سيبويه: " ذيت ففيها إذا خففت ثلاث لغات...." [3] " وأما معد يكرب ففيه لغات "؛ وعلى هذا فلا

---

[1] المصدر السابق، ص 54

[2] الكتاب، سيبويه، ت. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 3. 1408هـ – 1988 . (ج3 ص545). (ج4 ص 346). (ج4 ص 196) .

[3] الكتاب، سيبويه، ج3 ص 292 296 .

يمكن بحال من الأحوال أن نقيم لهجة بالمعنى المحدث (dialect) مكان كلمة لغة(والدليل على ذلك أنّ مقصود سيبويه من كلمة لغة لا يشمل لهجة بأكملها بل عناصر لغوية خاصة. [1]

هـ) اللّهجات العربية وعلماء اللّغة:

إن المتتبع للدراسات اللغوية القديمة والحديثة يجد أنّ هناك اختلافا في مستوى التناول للهجات العربية كما أنّ علماء اللّغة تباينوا في مدى اهتمامهم باللّهجات من ناحية عَزْو الظواهر اللغوية للهجاتها:

هـ-1 القدماء:

عندما بدأت الدراسات اللغوية عند العرب، كانت كلها تتجه صوب القرآن الكريم، وذلك من أجل الحفاظ عليه من التحريف خاصة عندما انتشر الإسلام في بقاع الأرض، ودخل الأعاجم في دين الله أفواجا، ثمّ تطورت هذه الدراسات لتشمل جميع خصائص ومستويات لغة القرآن الكريم، وكان المشهور في ذلك الوقت أنّ القرآن الكريم نزل بلغة قريش، ويقول في هذا أحمد ابن فارس:

" أجمَعَ علماؤنا بكلام العرب، والرُّواةُ لأشعارهم، والعلماءُ بلُغاتهم وأيامهم ومَحالّهم أنّ قُرَيشاً أفصح العرب ألْسنةً وأصْفاهم لغةً. وذلك أنّ الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب "[2]

وقد روي عَن أبي بكر الصّديق أنّه قَالَ: " قُرَيْش هم أوسط الْعَرَب فِي الْعَرَب دَارا، وَأحسنه جِواراً وأعربه ألْسنة ". [3]

وبهذا فإن علماء اللّغة العرب ركّزوا جهودهم على لهجة قريش فهي أفصح لغات العرب يقول ابن جني في هذا:

"ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم, وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن, وتضجع قيس، وعَ رفية ضبة, وتلتلة بَهْراء." [4]

---

[1] اُنظر: السماع اللغوي عند العرب و مفهوم الفصاحة، عبد الرحمان الحاج صالح، ص 153: 154

[2] الصاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، ت. أحمد حسن بسج، د. الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1 1418هـ-54997 ج1 ص 28

[3] لسان العرب، ابن منظور، ج1 ص 588

[4] الخصائص، ابن جني، ج 2 ص 13

ولعلّ السبب في عُلوِّ لهجة قريش ما روي عن قَتَادَة أنّه قال: " كَانَت قُرَيْش تجتبي أَيْ تخْتَار أفضل لُغَات الْعَرَب، حَتَّى صَار أفضل لغاتها لُغَة لَهَا فَنزل القرآن بهَا ".[1]

هذه النظرة الخاصّة للغة قريش ولغة القرآن قادت اللغويين القدماء إلى عدم الاهتمام بدراسة اللّهجات العربية وإلى الاكتفاء ببعض الملاحظات التي تدور حول ما تقبله العربية الفصحى منها.

أما المتأخرون كابن عقيل والأشموني والسيوطي فلم يكن لهم سوى جمع بعض ما ورد في كتب المتقدمين من إشارات إلى هذه اللّهجات بلا بيان لأهمية دراستها.

هـ-2 المحدثون:

فقد أجمعوا على أنّ دراسة اللّهجات تؤلف بابا مهما من أبواب الدراسة اللغوية وقد ظهرت في ذلك مجموعة من الكتب، كما أنّ المستشرقين اهتموا أيضا بهذا الجانب من الدراسات اللغوية العربية وفي دائرة المعارف الإسلامية وصف شامل لجهودهم في هذا الحقل.[2]

والملاحظ في الدراسات الحديثة أنّ كتب اللّهجات امتلأت المكتبات بها، خاصة منها تلك التي أُلّفت في مصر، على يد كبار اللغويين الذين كانوا ينشطون في مجمع اللّغة العربية بالقاهرة في النصف الثّاني من القرن العشرين؛ على رأسهم إبراهيم أنيس وإبراهيم مدكور وتلامذتهم من بعدهم، والذي يتتبع إصدارات المجمع يجد الكثير من البحوث الأكاديمية في في هذا المجال، منها ما يخص اللّهجات العربية القديمة وخصائصها وهو قليل جدا، ومنها ما هو حول اللّهجات الحديثة والعاميات وهو الأكثر؛ ولعلماء اللّغة – منهم عبد الرحمان الحاج صالح – ملاحظات وردود على الإخوة المصريين ومن تابعهم حول منهجهم في دراسة اللّهجات والعاميات.

---

[1] تهذيب اللّغة، الأزهري، أبو منصور، ت. محمد عوض مرعب، د. إحياء التراث العربي، بيروت، ط.1. 2001، ج1 ص 22

[2] انظر: لهجة تميم و أثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة و الفنون، العراق، ص 34 35 37

و) بعض الدراسات القديمة للهجات:

كتب كثير من اللغويين في وقت مبكر أعمالا تحت اسم كتاب اللغات، أو ما يشبهه ولم يلق الضوء على أيٍّ من هذه الأعمال المذكورة في كتب الفهارس العامة، حتى أنّه لا يمكننا القول إن كانت هذه الأعمال في اللّهجات أو هي مجموعات لنوادر الكلمات.

وفيما يلي بعض العناوين المعروفة مرتبة ترتيبا زمنيا تاريخيا:

- كتاب اللغات ليونس بن حبيب (182هـ).
- كتاب اللغات للفراء (ت207 هـ-822 م).
- كتاب اللغات لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210 هـ-825 م).
- كتاب اللغات لأبي زيد الأنصاري (ت216 هـ-831 م).
- كتاب اللغات للأصمعي (ت216 هـ-831 م).
- كتاب اللغات لابن دريد (ت321هـ-933 م).
- كتاب السبب في حصر لغات العرب لحسين بن المهذب المصري(ت650هـ).

فكل هذه العناوين لا نعرف مضامينها بالضبط ولم يتح لنا من الدراسات في اللّهجات القديمة إلا كتابين :

- الأوّل عبارة عن رسالة معزوة إلى أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت223هـ) بعنوان: "رسالة في ما ورد في القرآن من لغات القبائل"" وهي دراسة عن مفردات اللّهجات في القرآن قد طبع هذا العمل في هامش الطبعة الحجرية لكتاب الدريني (التيسير في علوم التفسير القاهرة 1310هـ) وأعيدت طباعته على هامش تفسير الجلالين القاهرة، وقد اقتبس السيوطي في كتابه الإتقان بتوسع من هذه الدراسة.[1]

- أما الثّاني فهو كتاب اللغات في القرآن عبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري (ت386هـ)) حققه صلاح الدين المنجد وهي رسالة صغيرة في نحو من ستين صفحة.

[1] انظر : اللّهجات العربية القديمة، شيم رابين، ص 41 – 42

المبحث الثّاني:

جغرافيا القبائل العربية

أ) الجزيرة العربية:

أفضل بلاد المعمورة من شقّ الأرض الشمالية إلى الجزيرة العربية وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس (ماروي) تقع على أربعة أقاليم من عمران الشمال إلى الخامس(فجنوبيها اليمن وشماليها الشام وغربيها شرم أيلة وما طردته من السواحل إلى القلزم وفسطاط مصر وشرقيها عمان والبحرين وكاظمة والبصرة وموسطها الحجاز وأرض نجد والعروض وتسمى جزيرة العرب لأنّ اللسان العربي في كلها شائع وإن تفاضل.[1]

وهناك عدةّ تحديدات جغرافية للجزيرة العربية عند علماء العرب:

قال الأصمعىّ: " جزيرة العرب ما لم يبلغه ملك فارس، من أقصى عدن أبين إلى أطرار الشام، هذا هو الطول؛ والعرض من جدّة إلى ريف العراق".

وقال أبو عبيد عن الأصمعىّ خلاف هذا، فذكر أنّ طولها من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق فى الطول، وأنّ عرضها من جدّة وما والاها من ساحل البحر، إلى أطرار الشام.

وقال الشّعبىّ: " جزيرة العرب ما بين قادسيّة الكوفة إلى حضر موت ".

وقال أبو عبيدة " جزيرة العرب ما بين حفر أبى موسى، بطوارة من أرض العراق، إلى أقصى اليمن فى الطول، وأمّا فى العرض فما بين رمل يبرين، إلى منقطع السّماوة ". قال: " وحدّ العراق ما دون البحرين إلى الرمل الحرّ".

قال الخليل: "سمّيت جزيرة العرب جزيرة، لأنّ بحر فارس وبحر الحيش والفرات ودجلة أحاطت بها، وهى أرض العرب ومعدنها".[2]

ولعلّ أكثر التحديدات دقة تحديد القلقشندى: "اعلم أنّ مساكن العرب ابتداء كانت بجزيرة العرب الواقعة في أوساط المعمور وأعدل أماكنه وأفضل بقاعه وهذه الجزيرة متسقة الأرجاء ممتدة الأطراف يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث البلقاء إلى أيلة

---

[1] صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، ت. محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط.1. 1990 82

[2] معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد البكري، عالم الكتب، بيروت، ط.3 1403هـ، ج1 ص 6

ثمّ بحر القلزم الآخر من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث حلى وزيد وما داناهما ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم المقدم ذكره من الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مَهْرة من ظفار وما حولها ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ثمّ إلى البصرة ثمّ إلى الكوفة من بلاد العراق ومن جهة الشمال الفرات آخذا من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البلقاء من برية الشام حيث وقع الابتداء ". [1]

ب) أقسام الجزيرة العربية:

ذهب جغرافيو العرب القدماء إلى تقسيم شبه الجزيرة العربية تقسيماً خماسياً وفي ضوئه سنبرز طبيعة الجزيرة وتكوينها:

ب- 1 الحجاز:

والذي أجمع عليه العلماء أنّه من قولهم حجزه يحجزه حجزا أي منعه والحجاز: جبل ممتدّ حالّ بين الغور غور تهامة ونجد فكأنّه منع كلّ واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، وهذه حكاية أقوال العلماء، قال الخليل: "سمي الحجاز حجازا لأنّه فصل بين الغور والشام وبين البادية"، وقال عمارة بن عقيل: "ما سال من حرّة بني سُلَيْم وحرّة ليلى فهو الغور حتى يقطعه البحر، وما سال من ذات عرق مغربا فهو الحجاز إلى أن تقطعه تهامة، وهو حجاز أسود حجز بين نجد وتهامة، وما سال من ذات عرق مقبلا فهو نجد إلى أن يقطعه العراق"، وقال الأصمعي: " ما احتزمت به الحرار حرّة شوران وحرّة ليلى وحرّة واقم وحرّة النار وعامة منازل بني سُلَيْم إلى المدينة، فذلك الشقّ كله حجازا"، وقال الأصمعي أيضا في كتاب جزيرة العرب: "الحجاز اثنتا عشرة دارا؛ المدينة وخيبر وفدك وذو المروة ودار بلِي ودار أشجع ودارمزينة ودار جهينة ونفر منهوازن وجلّ سُلَيْم هلال وظهر حرّة ليلى، ومما يلي الشام شغب وبدا".[2]

---

[1] قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، القلقشندي، ت. إبراهيم الإبياري، (د. الكتاب المصري، د. الكتاب اللبناني) .2. 1402هـ، ص 17

[2] معجم البلدان، ياقوت الحموي، د. صادر، بيروت، ط.2. 1995 21 95 ص 218 219

وقال الزّبير بن بكّار: "سألت سليمان بن عيّاش السّعدىّ: لم سمّى الحجاز حجازا؟" فقال: "لأنّه حجز بين تهامة ونجد". قلت: "فما حد الحجاز؟" قال: "الحجاز ما بين بئر أبى بكر بن عبد الله بالشّقرة، وبين أثاية العرج" فما وراء الأثاية من تهامة" .

ونقل ابن دريد قال: " إنما سمّى حجازا لأنّه حجز بين نجد والسّراة ".[1]

وفي العصر الأخير اختلف الباحثون في تحديد الحجاز قال محمد صادق: " أنّ ولاية الحجاز واقعة بين نجد وتهامة ومحدودة من الجنوب ببلاد عسير ومن الشرق بصحراء نجد ومن الشمال سورية ومن الغرب بالبحر الأحمر"" وقال الأستاذ العبادي: "الحجاز يمتد بوجه عام من رأس خليج العقبة إلى حدود اليمن إذا اعتبرنا عسيرا داخلة فيه كما يصنع بعض الجغرافيين".[2]

ب- 2 العروض:

وتُعرف باليمامة وسُمِّيت عروضا لأنّها تعترض مابين نجد واليمن وسُمِّيت يمامة نسبة إلى اليمامة وهي أشهر بلد فيها وكانت تسمى أيضا (ا) فهو الاسم القديم لليمامة ويقسّم الألّوسى العروض قسمين 1 – اليمامة 2 – بلاد الشام.[3]

وقال ابن الكلبي: " بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض".[4]

ويقول ياقوت: " واليمامة في الإقليم الثّاني، طولها من جهة المغرب إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها من جهة الجنوب إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة جوّا والعروض، بفتح العين، وكان اسمها قديما جوّ فسُمِّيت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم، وكانت منازل طسم وجديس اليمامة وكانت اليمامة أحسن بلاد الله أرضا وأكثرها خيرا وشجرا ونخلا".[5]

ويقول القزويني: "هي ناحية بين الحجاز واليمن، أحسن بلاد الله وأكثرها خيراً ونخلاً وشجراً" كانت في قديم الزمان منازل طسم وجديس، وهما من ولد لاوذ بن إرم بن لاوذ بن

---

[1] معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد البكري، ج1 ص 11

[2] اللّهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، د. العربية للكتاب، 1983 1 ص 23

[3] نفسه، ج1 ص27

[4] معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4 ص 112

[5] نفسه، ج5 ص 442

سام بن نوح عليه السلام. أقاموا باليمامة فكثروا بها وملك عليهم رجل من طسم يقال له عمليق بن حياش".[1]

أمّا صفة العروض وأوديتها:

فلليمامة واديان يصبّان من مهبّ الشمال، ويفرغان في مهبّ الجنوب، وعيون اليمامة كثيرة فيها عين يقال لها الخضراء، وعين يقال لها الهيت، وعين بجوّا تجري من جبل يقال له الرّام، وهو جبل معترض مطلع اليمامة يحول بينها وبين يبرين والبحرين والدّو والدّهناء، وبجوّا عين يقال لها الهجرة ولا يُشرب ماؤها لخبثه، وبالمجازة نهران وبأسفلها نهر يقال له سيح الغمر، وبأعلاها قرية يقال لها نعام، بها نهر يقال له سيح نعام، وأوّل ديار ربيعة باليمامة مبدأها من أعلاها أو لها دار هزّان، واليمامة لبني حنيفة، والبحرين لعبد القيس، والجزيرة لبني تَغْلب، وذات النّسوع قصر باليمامة، والمشقّر فيما بين نجران والبحرين، وبتيل حجر عليه قصر مشيّد عجيب من بناء طسم، ومعنق قصر عبيد بن ثعلبة وهو أشهر قصور اليمامة من بناء طسم على أكمة مرتفعة، والثّرمليّة حصن من حصون طسم، ويقول أهل اليمامة: "غلبنا أهل الأرض شرقها وغربها بخمس خصال: ليس في الدنيا أحسن ألوانا من نسائنا، ولا أطيب طعاما من حنطتنا، ولا أشدّ حلاوة من تمرنا، ولا أطيب مضغة من لحمنا، ولا أعذب من مائنا ".[2]

ب- 3 تهامة:

قال البكري: "وأمّا تهامة، فإنك إذا هبطت من الأثاية إلى الفرع وغيقة، إلى طريق مكة، إلى أن تدخل مكة ؛ تهامة، إلى ما وراء ذلك من بلاد عكّ، كلها تهامة؛ والمجازة وعليّب وقنونى ويزن، كلها تهامة؛ وأنت إذا انحدرت فى ثنايا ذات عرق متهم إلى أن تبلغ البحر وكذلك إذا تصوّبْتَ فى ثنايا العرج إلى أقصى بلاد بنى فزارة أنت متّهم فإن جاوزت بلاد بنى فزارة إلى أرض كلب، فأنت بالجناب وبلاد بنى أسد: الجلس، والقنان، وأبان الأبيض، وأبان الأسود، إلى الرّمة والحميان: حمى ضريّة، وحمى الرّبذة، والدّوّ، والصّمّان، والدّهناء،

[1] آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني زكريا بن محمد، د. صادر، بيروت، ص 131

[2] البلدان، ابن الفقيه1 1.يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط.1. (1416هـ - 1996م) 6 9 87

فى شقّ بنى تميم. والحزن معظمه لبنى يربوع. وكان يقال: من تصيّف الشّرف، وتربّع الحزن، وتشتّى الصّمّان، فقد أصاب المرعى".[1]

وقال الشرقي بن القطامي: " تهامة إلى عرق اليمن إلى أسياف البحر إلى الجحفة وذات عرق1 وقال عمارة ابن عقيل: "ما سال من الحرّتين حرّة سُلَيْم وحرّة ليلى فهو تهامة والغور حتى يقطع البحر"، وقال الأصمعي في موضع آخر: " طرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج وأول تهامة من قبل نجد ذات عرق".[2]

ب- 4 نجد:

يظهر أنّ حدودها من الحجاز غربا إلى البحرين شرقا ومن بادية الشام شمالا إلى حدود اليمن جنوبا وكأنّها الهضبة التي تكون قلب الجزيرة وقد قيل لها في الانجليزية ((the heart of arabic) وتتخلّل هذه الهضبة أماكن وتلال تختلف في العلو والهبوط بعضها عن بعض فتعلو من الغرب المحاذي لبلاد الحجاز ثمّ تنحدر بك دون أن تدرك ذلك وتتألف نجد من الوجهة الطبيعية من مناطق ثلاثة:

1- منطقة وادي الرمة 2- منطقة الوسطى 3- المنطقة الجنوبية.[3]

ب- 5 اليمن:

وقد اختلف العلماء في حدودها:

قال البكري: "وحدّ اليمن ممّا يلى المشرق: رمل بنى سعد، الذي يقال له يبرين، وهو منقاد من اليمامة، حتى يشرع فى البحر بحضر موت ومما يلى المغرب: بحر جدّة إلى عدن أبين وحدّها الثّالث: طلحة الملك إلى شرون، وشرون: من عمل مكة، وحدّها الرابع: الجوف ومأرب، وهما مدينتان". [4]

ويحددها الهمْداني: "البحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعا إلى المغرب ويفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان ويبرين إلى حد ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود الهجيرة وتثليث وأنهل جرش وكتتة منحدر في السّراة على شعف

---

[1] معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد البكري، ج1 ص 13

[2] معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج2 ص 63

[3] اللّهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ج1 ص 828 29

[4] معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكري، ج1 ص 16

عنز إلى تهامة على أم جحدم إلى البحر حذاء جبل كِنانة واليمن من بطن تهامة w إحاطة البحر باليمن من ناحية دما فطنوى فالجمجة فراس الفرتك ". [1]

أمّا من جهة أهلها فإنهم يختلفون عن سائر سكان شبه الجزيرة في ملامحهم الجسدية فضلا عن بيئتهم الاجتماعية وهناك عاملان آخران جعلا أهل اليمن منذ العهود المبكرة للإسلام يحسون بتميز بلادهم؛ فذكرى عظمة حضارة جنوب الجزيرة ما زالت حيةفي قلوبهم، وأنّ معالمها مازالت ماثلة وإن قسما كبيرا من أهلها مازالوا يتكلمون لغة اختلافها ملحوظ عن العربية تُسمّى الحِمْيرية.[2]

[1] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص90

[2] اللّهجات العربية القديمة، شيم رابين، ص 75

المبحث الثّالث:

القبائل العربية ومواطنهم

قبل أن نتطرق إلى جغرافيا القبائل العربية يجب معرفة بعض المصطلحات الخاصة بالقبائل وأنسابهم:

أ) طبقات الأنساب:

الطبقة الأولى: الشعب وهو النسب الأبعد كعدنان مثلا، وهو أبو القبائل الذي ينسبون إليه ويُجمع على شعوب وسُمّي شعبا لأنّ القبائل تتشعب منه.

الطبقة الثّانية: القبيلة وهي ما انقسم فيه الشعب كربيعة ومضر وسُمّيت قبيلة لتقابل الأنساب فيها وتُجمع القبيلة على قبائل وربما سُمّيت القبائل جماجم أيضا.

الطبقة الثّالثة: العمارة وهي ما انقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكِنانة وتُجمع على عمارات وعمائر.

الطبقة الرابعة: البطن وهي ما انقسم فيه أنساب العمارة كبني عبد مناف وبني مخزوم وتُجمع على بطون وأبطن.

الطبقة الخامسة: الفخذ وهو ما انقسم فيه أنساب الفخذ كبني العباس وبني عبد المطلب وليس دون إلّا الفصيلة؛ الرجل وولده.

هذا وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة وعشيرة الرجل رهطه الأدنون. [1]

ب) القبائل العربية:

وتنقسم القبائل العربية إلى قسمين:

ب- 1 القحطانيون:

نسبةً إلى قحطان واُختلف في نسب قحطان فهناك من نسبه إلى إسماعيل ومنهم من نسبه إلى هود ومنهم من نسبه إلى سام بن نوح وكلّها رجم بالغيب ولا تعنينا في شيء

[1] فقه اللّغة مناهله ومسائله، محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية، بيروت، 2009 158

والذي يهمّنا هو نسل قحطان فقد ذكر المؤرخون أنّ قحطان ولد له يَعْرب وأنّ يَعْرب خلف يَشْ أنّ يَشْجب أنجب سبأ.[1]

وولد لسبأ عدد من الأولاد منهم حِمْير وكهْلان ومنهما تفرعت القبائل والبطون.[2]

الفرع الأول: حِمْير

كانت منازلهم الأولى بأرض سبأ من اليمن وقد تفرعت منها بطون:

1) شيبان:

ومساكنهم وإن تيامنت من الموصل تريد بغداد لقيتك الحديثة وجبل بارما ويسمى اليوم حمرين ويقال أنّه جبل لا يخلو يوما من قتيل ثمّ السنّ والبوازيج بلاد السّراة من ربيعة ثمّ يقع في جبل الطور البري وهو أول حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذويها ولا يخالطهم إلى ناحية خراسان إلا الأكراد.[3]

2) قضاعة:

كانت ديارهم الأصلية في اليمن2 ثمّ انتقلت من ديارها إلى غور تهامة ثمّ إلى الحجاز ثمّ إلى الشام فكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق.[4]

ولهذا يقول ابن حزم: "وبلاد قضاعة متصلة بالشام"5 ومن بطونها:

2- 1 كلب:

حدد الهمْداني مساكنهم في قوله: "وأمّا كلب فمساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة أحد6 ومن قراها تدمر وسلمية والعاصمية وحمص وحماه "7 وكانوا ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام. [8]

---

[1] (اُختلف في اسم سبأ فيسميه كل من ابن دريد في الاشتقاق و المسعودي في مروج الذهب عامرا و قيل أنّه سُمِّي سبأ لأنه أول من سبى السبي)

[2] اللّهجات العربية في الكتاب لسيبويه (رسالة ماجستير) ص 020 21

[3] اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، د. المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م ص 23

[4] معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.2 71997 9 3 ص 957

[5] جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الاندلسي، ت.عبد السلام محمد هارون، د. المعارف، القاهرة، ط.5. 1982. ص 8

[6] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص243

[7] نفسه، ص 246

[8] معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة، عمر رضا كحالة، ج 3 ص991

2- 2 جُهينة:

يحدد الهمْداني ديارها في عرض كلامه عن مساكن العرب فيما جاوز المدينة فيقول: " العيص فيها جُهينة ومُزينة وتنفرد دار جهينة من حدود ضوى والأشقر إلى واد مابين نجد والبحر "[1] فمساكنهم كانت ما بين ينبع ويثرب من برية الحجاز. [2]

2- 3 بلِي:

يقول الهمْداني: " ديار بلِي أمج وغران وهما واديان يأخذان من حرة بني سُلَيْم وينتهيان في البحر وهجشان والجزل والسقيا والرحبة "[3] وهي تقع بين المدينة ووادي القرى من منقطع دار جهينة إلى حد دار على شاطئ البحر.[4]

2- 4 بهراء:

يقول الهمْداني: " فإن تياسرت من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعت في أرض بهراء "[5] فكانت ديارهم شمال ديار كلب.[6]

2- 5 تَنُوخ:

ويحدد الهمْداني أماكنهم بقوله: " ثمّ من أسيرهم أي بهراء مما يلي البحر تَنُوخ وهي ديار الفضيض سادة تَنُوخ ومعكودهم منها اللاذقية على شاطئ البحر ثمّ تقع في نصارى وغير ذلك إلى حد الفرات إلى بالس ".[7]

2- 6 مَهْرة:

يقول الهمْداني عند تطرقه لأفضل بلاد المعمورة " فأما عرضها من أعلاها فهو بناحية عدن أبين قليل ثمّ يزداد في السعة أكثر من ناحية المشرق إلى حضرموت فبلدة مَهْرة

---

[1] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص244

[2] نفسه، ص216

[3] نفسه، ص285

[4] أُنظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، ج 1 ص105، و أُنظر: صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص244

[5] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص245

[6] أُنظر: اللّهجات العربية في الكتاب لسيبويه (رسالة ماجستير) 25

[7] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص132

فعمان"[1]1 فديارها كانت بين حضرموت وعمان وهي من بطون قضاعة التي تقيم في اليمن ولم تهاجر. [2]

الفرع الثّاني: كهْلان

وقد تفرعت منها عدّة قبائل من أشهرها:

1) همْدان:

يحدد الهمْداني ديارهم في قوله: " أما بلد همْدان فإنّه أخذ ما بين الغائط وتهامة من نجد والسّراة في شمالي صنعاء وما بينها وبين صعدة "[3]3 فكانت ديارهم باليمن من شرقيه. [4]

2) كِنْدة:

يقول الهمْداني: " وفي حضرموت سكنت كِنْدة بعد أن أُجليت عن البحرين والمشقر وغمر ذي كِنْدة في الجاهلية بعد قتل ابن الجون وكان الذي نقل منهم عن هذه البلاد إلى حضرموت نيفا وثلاثين ألفا "[5] ثمّ يصف بلادهم " وبلدة كِنْدة مرتفع كأنّه سراه وتصب أوديته في حضرموت ". [6]

3) جُذام:

يقول الهمْداني: " وأما فهي بين مدين إلى تبوك فإلى أسرح ومنها فخذ مما يلي طبرية من أرض الأردن ". [7]

4) طيء:

عمارة كبيرة من كهْلان القحطانية كانت منازلهم باليمن فخرجوا منها على إثر خروج الأَزْد ثمّ ملأوا السهل والجبل حجازا وشاما وعراقا ومصرا[8]، وهي قبيلة عظيمة يتفرع منها بطون عديدة كبني ربيعة، ويوجد جبلاها المشهوران أجأ وسلمى.[9]

---

[1] المصدر السابق، ص41

[2] معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة، عمر رضا كحالة، ج 3 ص 1151

[3] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص217

[4] معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة، عمر رضا كحالة، ج 3 ص 1225

[5] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص171

[6] نفسه، ص 168

[7] نفسه، ص243

[8] فقه اللّغة مناهله و مسائله، محمد أسعد النادري، ص 160

[9] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص 238

5) مذْحِج:

قبيلة كبيرة يتفرع منها بطون عديدة كبني الحارث بن كعب كانت ديارهم باليمن، يحددها الهمْداني بقوله: " الجوف بين همْدان ومذْحِج ومأرب بين سبأ ومذْحِج"[1] وهي عمارة من كهْلان القحطانية ظلت مستقرة في اليمن وهي تسكن سروا عرف بسر مذْحِج في المنطقة الواقعة شمال مأرب. [2]

6) الأَزْد:

يقول الهمْداني: "عن تفرقهم في البلاد: فأمّا ساكن عمان من الأَزْد فيحمد وحدان ومالك والحارث وعتيك وجديد، وأمّا من سكن الحيرة والعراق فدوس وأمّا من سكن الشام فآل الحارث، وأمّا من سكن المدينة فالأوس والخزرج، وأمّا من سكن مكة ونواحيها فخزاعة، وأمّا من سكن السرات أَزْد السرات فالحجر بن الهنو ولهب وناه وغامد ". [3]

وهم عمارة من قبيلة كهْلان القحطانية وينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

أَزْد شنوءة وأَزْد السراة وكانت منازلهم السراة أَزْد عمان وكانت منازلهم بعمان خزاعة بطن من أسد.[4]

7) خولان:

يقول الهمْداني: " بلد خولان بن عمرو بن الحاف مدينة صعدة "[5]5 ثمّ افترقوا في الفتوحات الإسلامية فنزل كثير منهم الشام. [6]

8) أَنْمار:

وهم بطن من الأَزْد غير أنّ كثيرين ذكروا أنّهم ليسوا يمنيّين بل عدنانيون إذ أنّه كما تكاثر بنو إسماعيل عليه السلام صارت رياسة الحرم لمضر مضى أَنْمار بن نزار بن معد بن عدنان إلى اليمن فأمّ السروات وتناسل بنوه فغدوا في اليمانية . [7]

---

[1] المصدر السابق، ص 237

[2] فقه اللّغة مناهله و مسائله، محمد أسعد النادري، ص 158

[3] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص 330

[4] فقه اللّغة مناهله و مسائله، محمد أسعد النادري، ص 158

[5] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص115

[6] معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة، عمر رضا كحالة، ج 1 ص 365

[7] فقه اللّغة مناهله و مسائله، محمد أسعد النادري، ص 159

ب- 2 العدنانيون:

فعدنان هو شعب نسب العرب المستعربة الذي تفرعت منه قبائلها وعمائرها وبطونها وأفخاذها وفصائلها، فقد ذُكر في العبر أن جميع الموجودين من ولد إسماعيل من نسله.

قال الزهري: "وكان لعدنان سبعة أولاد، وهم: معد وهو الذي على عمود النسب، وعك واسمه الديث وعدن، وبه سُميت عدن على أحد الأقوال، وأُد، وأبي، والضحاك، والعيّ. وأمهم: مَهدد".

قال في العبر: "ومواطن بني عدنان مختصة بنجد، وكلهم بادية رحّالة إلا قريشاً بمكة ونجد "" وقال السهيلي: "ولا يشارك بني عدنان من العرب في أرض نجد أحد من قحطان إلا طيء من كهْلان فيما بين الجبلين: سلمى وأجأ".

قال: " ثمّ افترق بنو عدنان في تهامة الحجاز، ثمّ في العراق والجزيرة يعني الجزيرة الفراتية فيما بين دجلة والفرات ثمّ افترقوا بعد الإسلام في الأقطار."[1] وعدنان هذا يرجع نسبه إلى إسماعيل عليه السلام ويذكر النسابون أنّه ولد لعدنان معد وعك وولد لمعد نزار وولد لنزار ولد منهم مضر وربيعة ومنهما تفرعت القبائل والبطون العدنانية كما تفرع من حِمْير وكهْلان القبائل والبطون القحطانية. [2]

الفرع الأول: مضر

كانت ديارهم حيز الحرم إلى السروات وما دونها من الغور وما والاها من البلاد وامتدت ديارها بقرب من شرقي الفرات نحو حران فكانت ديارهم بالجزيرة بين دجلة والفرات مجاورة الشام[3] و يقول الهمْداني " ومنازلهم مكة وما والاها من تهامة وانتشروا فيما يليهم من البلاد وتنافسوا في المنازل والمحال وأرض العرب يومئذ خاوية وليس فيها بتهامتها ونجدها وحجازها وعروضها كثير أحد لإخراب (بختنصّر) إياها وأجلاء أهلها إلا من اعتصم منهم برؤوس الجبال وشعابها....". [4]

وانقسمت مضر إلى قسمين خِنْدِف وقيس عيلان

---

[1] قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، القلقشندي، ص 109 110

[2] انظر: نسب قريش، أبو عبد الله الزبيري، ت. ليفي بروفنسال، د. المعارف، القاهرة، ط. 03 11 ص 5. 6

[3] أُنظر: معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة، عمر رضا كحالة، ج 3 ص 1107

[4] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص 83

1) خِنْدِف: ومن أشهر قبائلها:

1- 1 هُذَيل:

كانت ديارهم بالسروات وسرواتهم متّصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف ولهم مياه و أماكن في جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة. [1]

1- 2 تميم:

وينسبون إلى تميم بن مرّة بن مضر بن نزار كانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة حتى البحرين ثمّ تفرقوا في الحواضر.[2]

1- 3 قريش:

وكانت تنزل مكة وما حولها ومن مناطقها المراغة وتبالة[3] وهم بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر وقريش قبيلة عظيمة حسبها شرفا أنّ سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم ينتمي إليها وقد اشتهرت بالتجارة وكان لها رحلتا الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام وقريش على قسمين: قريش البطاح وقريش الظواهر فقريش البطاح ولد قصي بن كلاب وبنو كعب بن لؤي وقريش الظواهر من سواهم.[4]

1- 4 كنانة:

وهم بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ومنهم قريش[4] كانت منازلهم بجهات مكة وفي العرب قديما عدة قبائل تحمل اسم كنانة أشهرها بنو كنانة بن بكر بن عذرة بن كلب من قضاعة من القحطانية وبنو كنانة أيضا من تَغْلب بن وائل ويقال لهم قريش تَغْلب وهم من العدنانية[5] ويحدد الهمْداني منازلهم: " وهو وادي أتمة وضنكان وهو معدن غزير ولا بأس بتبره، والحرّة حرّة كنانة والمعقد وحلي وهو مخلاف وقصبتها الصّحارية موضع رؤساء بني حرام والجّو ووادي تلومة ووادي الفراسة والجونية ووادي المحرم ودعنج وعشم معدن وقرية وحلى العليا والسّرين ساحل كنانة ". [6]

---

[1] فقه اللّغة مناهله ومسائله، محمد أسعد النادري، ص 162

[2] نفسه، ص 159

[3] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص 119

[4] فقه اللّغة مناهله ومسائله، محمد أسعد النادري، ص 161

[5] نفسه، ص 161

[6] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص 120

2) قيس عيلان:

فخذ من مضر من نزار ولكثرة البطون المتفرعة عنه جُعِل في مقابل اليمانية بأسرها أدراجا لسائر العدنانية2 فيقال قيس ويمن والمشهور من فصائل قيس عيلان.[1]

2- 1 هوازن:

يقول الهمْداني " سراة الطائف غورها مكة ونجدها ديار هوازن"[2] وإلى هوازن يُنسب بنو كلاب في جهات المدينة وفدك والعوالي وإليها أيضا تنسب عقيل وكانت تنزل الطائف.[3]

2- 2 سُلَيْم:

يقول الهمْداني " فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حد الجبلين إلى ما ينتهي إلى الحرة ديار سُلَيْم لا يخالطهم إلا صرم من الأنصار"[4] وسُلَيْم أكثر قبائل قيس عددا[5] وكانت مساكنهم في عالية نجد بالقرب من خيبر5 ومن منازلهم حرة سُلَيْم وحرة النار بين وادي القرى وتيماء.[6]

2- 3 عدوان:

وأرضهم من السراة يصاع والسوار وبطن قوت والنجار وبقران ويقول القلقشندي: " وكانت منازلهم الطائف من نجد نزلوها بعد إياد والعمالقة ثمّ غلبهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة ".[7]

2- 4 غَطَفان:

وكانت منازلهم مما يلي وادي القرى جبلي طيء وأجأ وسلمى ومن غَطَفان عيس وذبيان بن تيماء وحوران ومن ذبيان فزارة عند حسمى في الشمال. [8]

---

[1] فقه اللّغة مناهله ومسائله، محمد أسعد النادري، ص 161

[2] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص131

[3] فقه اللّغة مناهله ومسائله، محمد أسعد النادري، ص 162

[4] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص 245

[5] مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل العمري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط.1 1423هـ، ج4 3 4 389

[6] المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، د.القلم3 9 1.3 1411- 1411هـ، ص 143

[7] اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص 32

[8] نفسه، ص 31

الفرع الثّاني: ربيعة

كانت ديارهم من بلاد نجد وتهامة فكانت بقرن المنازل وعكاظ وحنين ثمّ وقعت الحرب بين بني ربيعة فتفرقت في تلك الحرب فارتحلت بطونها إلى بقاع مختلفة فاختار بعضهم البحرين وهجر ونجد والحجاز[1] ومن ربيعة تفرقت قبائل من أشهرها:

1) أسد:

يقول الهمْداني " فإذا خرجت من تيماء قصد الكوفة ثانيا فأنت في ديار بحتر من طيء إلى أن تقع في ديار بني أسد قبل الكوفة بخمس"[2] وهي ذات بطون كثيرة وكانت منازلهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد وفي مجاورة طيء ثمّ تفرقوا من بلاد الحجاز بعد الإسلام على الأقطار فنزلوا العراق وسكنوا الكوفة منذ سنة 19هـ .[3]

2) وائل:

تفرع منها بطنان مشهوران هما بكر بن وائل وتَغْلب:

2-1 بكر بن وائل: يذكر الهمْداني ديارهم في قوله: " وديار بكر بن وائل من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر فأطراف سواد العراق فالأبلّة فهيت ".[4]

2-2 تَغْلب: يقول الهمْداني: " وديار تَغْلب الجزيرة بين بلد بكر وبلد قضاعة "[5]

---

[1] فقه اللّغة مناهله و مسائله، محمد أسعد النادري، ص 160

[2] صفة جزيرة العرب 245

[3] فقه اللّغة مناهله و مسائله، محمد أسعد النادري، ص 158

[4] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص 284

[5] نفسه، ص 284

المبحث الرابع:
نشأة اللّهجات العربية

أ) الأسباب الجغرافية:

وتتمثل في الانعزال الجغرافي والاجتماعي بين بيئات الشعب الواحد، وذلك عندما تفصل العوامل الطبيعية من جبال أو أنهار أو صحارٍ أو نحوها بين بيئات اللّغة الواحدة فتنعزل إحداهما عن الأخرى.[1]

ويرى الدكتور عبده الراجحي: " إذا كان أصحاب اللّغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة تختلف الطبيعة فيها من مكان إلى مكان كأَنْ توجد جبال أو وديان تفصل بقعة عن أخرى بحيث تنشأ عن ذلك مجموعة من الناس فإن ذلك يؤدِّي مع الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية وتنتميان إلى نفس اللّغة والذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير اللّهجة التي يتكلّمها الذين يعيشون في بيئة صحراوية وبادية ". [2]

ويقول إبراهيم أنيس: " فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللّغة الواحدة إلى لهجات عدة فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك بين بيئات اللّغة الواحدة ويترتب على هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض أو انعزالهم بعضهم عن بعض ويتبع هذا أن تكوّن مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين أن تتطور تطورا مستقلا يباعد بين صفاتها ويشعبها إلى لهجات متميزة إذ لا بد من تطور الكلام وتغيره على مرور الزمن ولكن الطريق الذي يسلكه الكلام في هذا التطور يختلف من بنية إلى أخرى لأنّ ظروف الكلام تختلف بين البيئات المنعزلة".[3]

إذن فاختلاف البيئات يؤثر على اللّغة، فالبيئة الصحراوية مختلفة عن البيئة الزراعية والممطرة تختلف عن الجافة والباردة والحارة والمعتدلة والساحلية وغيرها، والتي تشرق شمسها والتي يغشيها الغمام وكل هذه يختلف بعضها عن بعض وفي كل من هذه الظواهر

---

[1] فقه اللّغة مناهله و مسائله، محمد أسعد النادري، ص 153، 154

[2] اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص 37

[3] في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص 20

الطبيعية ومشاهد الحياة من جبال وأنهار وبحار وغابات وحيوان ونبات وفي ذلك ما يختلف عما في الأخريات وتحتاج كل بيئة إلى ألفاظ تعبر عما فيها وهذه تختلف عما تحتاج إليه تلك وهذا واضح بين مختلف اللّهجات واللغات فهي غالبا ما يظهر كل منها في بيئة معينة وينحصر في مكان محدد.[1]

ب) الأسباب الفردية:

لقد أثبت علم اللّغة أنّ لكلّ إنسان لهجته الخاصّة وأنّ هناك لهجات في اللّغة بقدر ما هناك من أفراد يتكلمون هذه اللّغة.[2]

يقول فندريس" أنّ اللّغة إذا كانت واحدة فهي متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها ومن المُسلّم به أنّه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفترق ".[3]

ويقول علماء اللّغة أنّ المجتمع الذي يتكلم أفراده لغة واحدة لا وجود له، وإذا أبديت شكّا في ذلك أدخلوك في مختبر الفونيتيك وقالوا لك اجلس أمام هذه الآلة المُسجِّلة وتلفّظ بهذه العبارة (ما أجمل الطقس)) ثمّ بعد ربع ساعة يقولون لك تعالى سجّلها لنا مرة أخرى ثمّ يتركونك تقارن تسجيلك الأول والثّاني وستجد لنفسك فروقا ولكنها فروق لا تستطيع تمييزها إنما الآلة تستطيع وإذا أصررت في المعاندة أدخلوك إلى غرفة مظلمة وطلبوا من صديقين لك لا علم لك بوجودهما هناك أن يتكلما فإنك تعرف حالا صاحب الصوت هذا هو فلان وصاحب الصوت ذاك هو فلان فإن هناك تباينا ظاهرا في اللفظ والشدّة واللّين والنبرة والنغم وربما في انتقاء المفردات وفي تركيب العبارات.[4]

ج) الأسباب الاجتماعية:

اختلاف وجوه النشاط الاجتماعي ومجالات الحياة وأنماطها المختلفة وكذلك ما يسود في جماعة من عادات وتقاليد وما يربطها من علاقات ونظام الحكم والدين والمستوى الحضاري وما إلى ذلك كل هذا يختلف لدى جماعة عما هو عليه لدى الأخرى ويتبع هذا اختلاف في الأداة المُعبّرة عنه وبتتابع الاختلاف والزمن تتكون اللّهجات وثمّ اللغات.[5]

---

[1] في اللّهجات العربية، محمد أحمد خاطر، ص 70

[2] نفسه، ص86

[3] اللّغة، فندريس، تعريب : عبدالحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، ص 39

[4] اللّهجات و أسلوب دراستها، أنيس فريحة، د. الجيل، بيروت، ط.11(1409هـ – 1989م) 86 87

[5] في اللّهجات العربية، محمد أحمد خاطر ص 70

وفي هذا يرى الدكتور عبده الراجحي أنّ المجتمع الإنساني بطبقاته المختلفة يؤثر في اللّهجات حين يقول: " فالطبقة الارستقراطية تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا من المجتمع ويلتحق بذلك أيضا ما نلحظه من اختلافات لهجية بين الطبقات المهنية إذ تنشأ لهجات تجارية وأخرى صناعية وثالثة زراعية وهكذا.....". [1]

د) الصراع اللغوي:

ومن عوامل تكوين اللّهجات الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات المعمورة فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلّم أهلها لغة أخرى فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمَغْزُوّة وتكون النتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تماما أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمَغْزُوّة يشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك.

فعندما تدخل لغة جديدة إلى بقعة جغرافية جديدة فإنّها لا تدخل على فراغ لغوي فيجب أن يكون هناك قوم أو أقوام يتكلمون لغات مختلفة وفي هذه الحالة يحدث واحد من أمرين؛ إمّا أن تتغلب لغة الفاتح فتحتل المرتبة الأولى فتصبح لغة البلاد الرسمية أو أن تتغلب لغة المغلوبين بفضل تقدمهم في الحضارة أو بسبب قلة أفراد الجماعة العسكرية المجتاحة وفي الحالتين يطرأ تغيير في اللغتين سواءً أماتت الأولى أم انتصرت الثّانية فإن نتيجة هذا الصراع اللغوي الثقافي يظهر في اللّغة وأفضل مثال هو احتكاك العربية بالآرامية والإيرانية. [2]

وقد حدثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوي فقد غزا[3] العرب من جهات كثيرة متعددة اللغات واستطاعت اللّغة العربية آخر الأمر أن تصرع تلك اللغات في مهدها وأن تحلّ محلها فقد تغلّبت على الآرامية في العراق والشام وعلى القبطية في مصر والبربرية في بلاد المغربw والفارسية في بعض بقاع مملكة فارس القديمة. [4]

---

[1] اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص 38

[2] اللّهجات و أسلوب دراستها، أنيس فريحة، ص 89

[3] الأفضل استعمال عبارة (فتح العرب)

[4] في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص 121 22

المبحث الخامس:

مستويات الاختلافات اللّهجية

أ) المستوى الصوتي:

ويُراد بالاختلاف على هذا المستوى أن تُروى الكلمة بصورتين صوتيتين مختلفتين[1] أي الاختلاف بين اللّهجات فيما يخص نظام الأصوات، ومما يندرج تحت هذا المستوى من وجوه الاختلافات ما كان في:

أ- 1 في الحركات:

- في عدد قليل من الحالات نجد الكَسرة في اللّهجة الحجازية تقابل الضمة في اللّهجات الشرقية، وذلك عندما تجاور الصوامت اللّهوية المُفخّمة، إذا رُكّبت مع الأصوات الشفوية في معظم الأمثلة: مِصْحف الحجازية في مقابل مُصْحف التميمية قِدْوة مقابل قُدْوة التميمية، في الحجاز قِنْوان وكلب: قِنْيان وقيس: قُنْوان، تميم وضبة: قُنْيان..... [2]

- رُوي عن بني أسد قولهم: "هل رأيت عَيَنا بفتح العين والياء في معنى أحدا "" وبعض العرب يقول: " ما بها عَيْن بسكون الياء ".

- ورُوي كذلك عن بني سعد تقول: " في أسنانه حفَر بفتح العين والحفَر ما يلزق بالأسنان"" بينما غيرهم يقول: "حفْر بسكون العين ".

فالسمة الغالبة في هذه النصوص لبني أسد إيثار الحركات على السكون. [3]

- أهل الحجاز يسكّنون الشين من (عشرة)) فيقولون (إحدى عشْرة)) بينما تميم تقول ذلك بالكسر. [4]

- مالت اللّهجة التميمية والبيئات البدوية الأخرى كأسد وبكر بن وائل وقيس عيلان إلى إيثار الضم بينما آثرت الحجازية وغيرها من الحضر كقريش الكسر وأدلة ذلك:

---

[1] فقه اللّغة بين النظر و التطبيق، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مطبعة حسان، القاهرة، ط.2 2005 91

[2] نفسه، ص 204

[3] اللّهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ص 249

[4] نفسه، ص 247

– في رُضوان بضم الراء لغة قيس وتميم وذكر أبو شامة أنّ الضم لبني تميم والكسر لأهل الحجاز وقُرئ ﴿ ورُضوان من الله ﴾ آل عمران آية 15 بضم الراء وهي لغة تميم وبكر وقيس عيلان .

– صُنوان بالضم لتميم وقيس وبالكسر لأهل الحجاز وفي المحتسب أنّ عبد الرحمان السلمي قرأ بالضم وقراءة الناس صِنوان بالكسر.[1]

– أهل الحجاز يُسمون الفرد (الوَتر) بفتح الواو وأهل نجد يكسرون وفي رواية: وتميم وأهل نجد يكسرون.[2]

– ما رُوي عن عامة قيس وتميم وأسد يقولون للناقة حين الوضع " مِخِض " بكسر الميم والخاء بينما غيرهم يقولونها بفتح الميم.[3]

– الاختلافُ في الحركات نحو نَستعين ونِستعين بفتح النون وكسرها قال الفراء: هي مفتوحةٌ في لغة قريش وأسد وغيرهم يكسرها.[4]

أ– 2 إبدال الأصوات:

– ومن ذلك أيضا اختلاف لهجتي الحجاز وتميم في الصوتين الصامتين: الضاد والظاء فأولهما صوت شديد وقد نُسب إلى بني تميم والثّاني صوت رخو: وقد نُسب إلى الحجاز وفي اللسان أنّ فاضت نفسه تفيض فيضا: خرجت لغة تميم وأنشد:

تجمع الناس قالوا عرس ففَُقِئت عين وفاضت نفس

وحكى المازني عن أبي زيد قال: " كل العرب تقول فاظت نفسه إلا بني ضبّة فإنهم يقولون: فاضت نفسه بالضاد وأهل الحجاز وطيء يقولون فاظت نفسه وقضاعة وتميم وقيس يقولون: فاضت نفسه مثل فاضت دمعته ". [5]

---

[1] اللّهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ص 352 253

[2] نفسه، ص 275

[3] نفسه، ص 268

[4] المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ت. فؤاد علي منصور، د. الكتب العلمية، بيروت، ط.1 (1418هـ– 1998م)8 12 ص 202

[5] فقه اللّغة مناهله ومسائله، محمد أسعد النادري، ص 212

– ومن أوجه الاختلاف على هذا المستوى إبدال التميميين التاء طاء قال ابن سيدة: وقد أُبدلت الطاء من التاء في (فعلت) إذا كانت بعد حرف من حروف الإطباق(وهي لغة تميم قالوا: " فَحَصْطَ برجلك " يريدون فَحَصْتَ.[1]

أ- 3 تحقيق الهمزة وحذفها:

– قال أبو عبيدة قال يونس: " وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبي عليه السلام والبرية والذرية ". [2]

– قال يونس في نوادره أهل الحجاز يقولون جونة وتميم جؤنة بالهمز.[3]

أ- 4 الإمالة:

– في شرح الشافية أنّ الإمالة ليست لغة جميع العرب وأهل الحجاز لا يميلون وأشدهم حرصا عليها بنو تميم.[4]

أ- 5 الإدغام:

– قرأ أُبي: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ آل عمران، آية 120 يضرركم بفك الإدغام وهي لغة أهل الحجاز ولغة سائر العرب الإدغام في هذا كله. [5]

– قرأ زيد بن علي: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يوسف، آية 55 لا تقصّ مدغما وهي لغة تميم وقرأ الجمهور بالفك على لغة الحجاز. [6]

– الحجازيون يفكّون إدغام المثلين في الماضي عند إسناده إلى ضمير الرفع فيقولون شدَدْت وظلَلْت وتميل بعض اللّهجات الأخرى كبني عامر من قيس عيلان وسُلَيْم بن ربيعة إلى حذف احد المثلين فيقولون شَدْتُ وظَلْتُ ويحافظ آخرون كبكر على التشديد فيقولون شدّتُ وظلّتُ.

---

[1] المصدر السابق، ص 212 213

[2] اللّهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ص 338

[3] نفسه، ص 321

[4] نفسه، ص 277

[5] نفسه، ص 295

[6] نفسه، ص 297

– الحجازيون يفكون الإدغام في الأمر في جميع أحواله فيقولون: " اُعدد واُعدده... "" أمّا التميميون فيبقون الإدغام على حاله إذا خاطبوا ولم يتصل بالفعل ضمير فيقولون: " عدّ وشدّ "" فإن اتصل الضمير بالفعل فكّوا الإدغام موافقين أهل الحجاز فقالوا: " اُعدده واُشدده ". [1]

ب) الاختلاف على المستوى الصرفي:

المراد بالاختلاف على هذا المستوى أن ترد روايتان أو أكثر في الكلمة الواحدة بحيث تكون إحداهما على صيغة والأخرى على صيغة مخالفة.[2]

ومما يندرج تحت هذا المستوى من الاختلافات:

ب– 1 استعمال الفعل المضارع المجرد والمزيد:

– فَتتته المرأة وأفْتنته الأولى حجازية والثّانية نجدية.[3]

ب– 2 جمع اسم الإشارة:

– جمع اسم الإشارة في لهجة تميم هو أولى وفي الحجاز أولاء.[4]

ب– 3 تصحيح اسم المفعول من الثلاثي الأجوف :

والتصحيح هو إبقاء حرف العِلّة على حاله دون التعرض له بأي تغيير، والإعلال تغيير حرف العِلّة بالقلب أو الحذف أو الإسكان، واسم المفعول من الثلاثي الأجوف يُعلّ عند الحجازيين واويا كان أو يائيا، فيقال في اسم المفعول من قال وباع: مقول ومبيع، ولكن التميميين يعلّون الواوي ويصححون اليائي، فيقولون مبيوع، ومديون، ومعيون ومغيوم ومطيوب. [5]

ب– 4 مفردة هَلمّ:

تُستعمل عند الحجازيين اسم فعل أمر، بطريقة واحدة فلا تلحق بها الضمائر البارزة، وإنما يستتر فاعلها، مفردا أو مثنى أو جمعا، مذكرا أو مؤنثا، فتقول: هلمّ يا زيد، وهلمّ يا زيدان، وهلمّ يا زيدون، وهلمّ يا هندان وهلمّ يا هندات.

---

[1] فقه اللّغة مناهله و مسائله، محمد أسعد النادري، ص 213

[2] فقه اللّغة بين النظر و التطبيق، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، ص 192

[3] في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص 140

[4] اللّهجات العربية القديمة، شيم رابين، ص 294

[5] اللّهجات العربية نشأة و تطورا، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط.2 1993 3 9 320

وبنو تميم يجعلونها فعل أمر تتصل بها الضمائر للمفرد والمثنى والجمع مذكرا أو مؤنثا، فيقولون: هلمّ يا زيد، وهلمّي يا هند، وهلمّا يا زيدان ويا هندان، وهلمّوا يا زيدون، وهلممن يا هندات.[1]

ب- 5 تصريف أمس:

- إن بعض بني تميم يمنع لفظ أمس من الصرف مطلقا؛ رفعا ونصبا وجرّا إذا أريد به اليوم الذي قبل يومك ولم يُضف ولم يُقرن بـ (الـ) ولم يُصغّر ولم يقع ظرفا وجمهور بني تميم يخص إعرابه ممنوعا من الصرف بحالة الرفع وأهل الحجاز يبنونه على الكسر مطلقا في الرفع والنصب والجرّ فيقولون : " مضى أمس وكرهت أمس وما رأيت سعيدا مذ أمس. [2]

ب- 6 في العدد:

إن (اثنتين) في لهجة الحجاز تصبح (ثِنتين) في لهجة تميم بدون ألف وبكسر الثاء

ب- 7 في الاسم الموصول:

التميميون يشدّدون النون في الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة المثناة فيقولون: " الذانّ واللتانّ وهذانّ وهاتانّ " في حين يخفّف الحجازيون وسائر العرب هذه النون في أسماء الإشارة ويقولون: " ذلك وتلك " والتميميين يقولون: " ذاك وتيك ".[3]

ج) الاختلاف على المستوى النحوي:

ج- 1 في النواسخ:

- إنّ التميميين يرفعون خبر ليس إذا اقترن بعدها بـ (إلا) نحو: " ليس الطيب إلا المسكُ " حملا لها على ما في الإهمال عند انتقاض النفي كما حمل أهل الحجاز (ما) على (ليس) في الإعمال عند استيفاء شروطها، حكى ذلك عنهم أبو عمرو بن العلاء فبلغ ذلك عيسى بن عمر الثقفي فجاءه فقال له: " يا أبا عمر وما شيء بلغني عنك ثمّ ذكر له ذلك "

---

[1] المصدر السابق، ص 329

[2] فقه اللّغة مناهله و مسائله، محمد أسعد النادري، ص 219

[3] نفسه، ص 215

فقال له أبو عمرو: " نِمتَ وأَدْلَج النّاس ليس في الأرض تميميّ إلا وهو يرفع ولا حجازي إلا وهو ينصب "" ثمّ قال لليزيدي ولخلف الأحمر: " اذهبا إلى أبي مهدي فلقّناه الرفع فإنّه لا يرفع وإلى المشجع التميمي فلقّناه النصب فإنّه لا ينصب "" فأتياهما وجهدا بكل منهما أن يرجع عن لغته فلم يفعل فأخبرا أبا عمرو وعنده عيسى فقال له عيسى "بهذا فقت الناس".

ج- 2 عمل (ما):

الحجازيون يُعملون (ما) عمل ليس بشروط أربعة هي: ألا يتقدم خبرها على اسمها(وألاّ تقع بعدها أن الزائدة وألّا ينتقض نفي خبرها بإلا ومن إعمالها بهذه الشروط قوله تعالى: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ يوسف، آية31، أما التميميون فيهملون (ما)) ولذلك تُسمّى العاملة (ما) الحجازية.[1]

ج- 3 خبر لا النافية:

إنّ حذف خبر لا النافية للجنس غالب في لهجة الحجاز ملتزم في لغة تميم وطيء فلم يلفظوا به أصلا نحو: لا ضير ولا ضرر ولا ضرار ولا عدوى ولا طيرة ولا بأس.[2]

ج- 4 في المصدر بعد (أما):

إنّ التميميّين يُحون نصب المصدر النكرة بعد أمّا نحو: " أما عِلْما فعالم "" ويجيزون الرفع نحو: " أمّا علمٌ فعالم "" وهم يوجبون رفع هذا المصدر إذا كان معرفة نحو: " أمّا العلمُ فعالما "" أمّا الحجازيون فينصبون مطلقا في المصدر النكرة فيقولون: " أما علماً فعالم "" ويرَجِّحون رفع المصدر المعرفة فيقولون: " أما العلمُ فعالم "" ويجيزون نصبه والتقدير في المنصوب إذا ذكرت (علما أو العلم) وفي المرفوع إذا ذكر (علم أو العلم).[3]

ج- 5 الأعداد:

الأعداد من 3 إلى 10 عند توظيفها توابع مذيلة بالضمائر تُنصب في الحجاز ولكنّها في تميم تكون تابعة في إعرابها للمتبوع نحو: " أتوني ثلاثَتَهم "" وفي تميم: " ثلاثَتُهم ". [4]

---

[1] اللّهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ص 216

[2] نفسه، ص 217

[3] فقه اللّغة مناهله و مسائله، محمد أسعد النادري، ص 218

[4] اللّهجات العربية القديمة، شيم رابين، ص 317

ج- 6 في جمل الاستثناء:

- المنفية التي لا يكون فيها المستثنى من جنس المستثنى منه نحو: " ما جاء أحد إلا حمارا " ، ويسمى الاستثناء المنقطع وفيه يُنصب المستثنى في لغة أهل الحجاز في حين في لغة تميم يكون المستثنى تابعا للمستثنى منه.[1]

د) الاختلاف على المستوى الدلالي:

إن الاختلافات اللّهجية على هذا المستوى إمّا أن تكون في استعمال لفظ واحد لأكثر من معنى وهو ما يسمى بالمشترك اللفظي وقد يسمى بالتضاد إذا كان المعنيان اللذان يدل عليهما اللفظ متضادين وهو ما يعرف بظاهرة التضاد وإمّا أن يكون في استعمال أكثر من لفظ للدلالة على معنى واحد وهو ما يعرف بالترادف.[2]

د- 1 المشترك اللفظي:

- يذكر الفراء أنّ الحصب في لغة أهل اليمن الحطب، وتعني الحصب كذلك في لغة نجد ما رميت به في النار؛ كقولك حصبت الرجل أي رميته. [3]

- إن السّليط دهن السنام بلغة بني سُلَيْم- أما صاحب الصحاح فذكر أنّ السّليط الزيت بلغة عامة العرب وهو دهن السمسم بلغة أهل اليمن.[4]

- البور في لغة أَزْد عمان الفاسد؛ منه قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ الفتح، آية 12 قوما فاسدين والبور في كلام العرب (لا شيء)) يقال: " أصبحت أعمالهم بورا ومساكنهم قبورا ". [5]

- ذكر الفراء وهو يفسر قوله تعالى: ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النحل، آية 59 فقال:" الهون في لغة قريش الهوان، وهناك من يشرحها في مواضع أخرى بالرفق واللين.[6]

---

[1] المصدر السابق، ص 341

[2] اللّهجات العربية في كتاب سيبويه (رسالة دكتوراه) : " 46

[3] اللّهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء، صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم، د. الطباعة المحمدية، القاهرة، ط.1. 1986 ص 419

[4] نفسه، ص 408

[5] نفسه، ص 422

[6] نفسه، ص 394

د- 2 التضاد:

- ورُوى أنّ زيد بن عبد اللّه بن دارم وفدَ على بعض ملوك فألفاه في مُتَصَيَّدٍ له على جبل مُشْرف فسلَّم عليه وانتسب له فقال له الملك: " ثِبْ "" أي أجلس وظنَّ الرجلُ أنّه أُمرَ بالوُثوبِ من الجبل فقال: " ستجدني أيها الملك مطواعا ثمّ وثب من الجبل " فهلك، فقال الملك: " ما شأنه " فأخبروه بقصته وغلطه في الكلمة، فقال: "أما أنّه ليست عندنا عَربيَّة، من دخل ظَفَارِ حَمَّر، أي فليتعلم الحِمْيرية".[1]

- وقال: لَمَقتُ الشيء أَلْمُقهُ لَمْقاً إذا كتبتُه في لغة بني عقيل وسائر قيس يقولون: " لَمَقته مَحَوْته ".[2]

- السُّدْفة: الضوء عند تميم والظلمة عند قيس .[3]

- الغابر: بمعنى الباقي كانت في بني أسد ولهجة الغابر بمعنى الماضي كانت في غيرها من القبائل ثمّ صارت تستعمل فيهما عند العرب فقيل أنّها من الأضداد.[4]

- إن الكشاف في لهجة تميم وربيعة وأسد هي الإبل التي إذا أنتجت ضربها الفحل بعد أيام فلقحت وهي في لغة كِنانة وهُذَيل وخزاعة الإبل التي لم تحمل عامين.[5]

د- 3 الترادف:

- قرأ الجمهور: ﴿ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ البقرة، آية 144، وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿ فَوَلِّ وَجۡهَكَ تِلۡقَاءَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾: وهذه القراءة تقدم لنا لفظتين بمعنى واحد وهما (شطر) و(تلقاء)) ويذكر أبو عبيد أنّ التّلقاء معناه (النحو) في لهجة كِنانة(فنحن إذن أمام لفظتين مترادفتين تؤديان معنى واحد وهو النحو والقصد.[6]

- والشُّرْشُور: طَائِرٌ صَغِيرٌ مِثْلُ الْعُصْفُورِ؛ قَالَ الأَصمعي: تُسَمِّيهِ أَهل الْحِجَازِ الشُّرْشُورَ، وَتُسَمِّيهِ الأَعراب البِرْقِشَ.[7]

---

[1] المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ج1 ص 203

[2] نفسه، ج1 ص 307

[3] في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، 137 138

[4] اللّهجات العربية في معاني القرآن للفراء، صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم ص 406

[5] نفسه، ص 394

[6] اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص 195 196

[7] لسان العرب، ابن منظور، ج4 ص 403

– قَالَ الأصمعيّ: يُقَال للسَّعَفات اللواتي يَلِينَ القِلَبةَ العَواهن فِي لُغَة أهل الْحجاز قَالَ: وأمّا أهل نجد فيسمُّونها الخَوَافي.[1]

[1] تهذيب اللّغة، الأزهري، ج1 ص 104

الفصل الثّاني

الحديث النبويّ الشّريف:

المبحث الأول: تعريف الحديث
المبحث الثّاني: البلاغة النبويّة
المبحث الثّالث: تدوين الحديث
المبحث الرابع: أشهر كتب الحديث
المبحث الخامس: الاستشهاد بالحديث النبويّ
المبحث السادس: الردّ على دعاوي المانعين للاستشهاد بالحديث النبويّ
المبحث السابع: الأحاديث النبويّة في كتب الأوائل

المبحث الأول:

تعريف الحديث

أ- لغة :

الحَدِيثُ: نقيضُ الْقَدِيمِ. والحُدُوث: نقيضُ القُدْمةِ. حَدَثَ الشيءُ يَحْدُثُ حُدُوثاً وحَداثةً، وأَحْدَثه هو، فهو مُحْدَثٌ وحَديث.[1]

والحديث: الخبرُ، يأتي على القليل والكثير، ويُجمَعُ على أحاديثَ على غير قياس [2]2 وهو كذلك مَا يُحدِّثُ بِهِ المُحَدِّثُ تحديثاً ورجُلٌ حِدْثٌ أَي كثير الحدِيث، والحَدِيثُ: الجديدُ من الْأَشْيَاء[3]

وفي الحديث: « عَن عبد الله قَالَ كُنَّا نسلّم فِي الصَّلَاة ونأمر بحاجتنا فَقدمْت على رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو يُصَلِّي فَسلّمت عَلَيْهِ فَلم يرد عَليّ السَّلَام فأخذني مَا قدُم وَحدُث فَلَمَّا قضى رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أنّ الله تَعَالَى يحدُث من أمره مَا يَشَاء وَإِن الله قد أحدث من أمره أن لَا تكلّمُوا فِي الصَّلَاة فَرد عَليّ السَّلَام " »[4] وقوله: أخذني ما قَدُمَ وما حَدُث، فإنه لَا يُضَمُّ حَدُثَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ إِلا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَذَلِكَ لِمَكَانِ قَدُمَ عَلَى الازْدواج.[5]

ب- اصطلاحا :

الحديث: هو ما أُضيف إلى النبي صلّى الله عليه وسلم من قولٍ أو تقريرٍ أو صفة.[6]

وهناك من يعرّفه بأنّه كل ما أُثِر عن الرّسول صلّى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ولكنّه إذا أُطلق لفظ الحديث انصرف في الغالب إلى ما يُروى عن الرسول صلّى الله عليه وسلم بعد النبوة من قوله وفعله وإقراره.

وإذا أُطلق لفظ الحديث عند الأصوليين أُريد به السُنّة القولية لأنّ السُنّة عندهم أعمّ من

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج2 ص 131

[2] نفسه، ج2 ص 133

[3] تهذيب اللّغة، محمد الهروي، ج4 ص 234

[4] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، د. إحياء التراث العربي، بيروت، ج7 ص 270.

[5] الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، الجوهري، ج1 278

[6] تيسير مصطلح الحديث، محمود الطحان، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع، الرياض، ط.1 12

الحديث، وهي تشمل قول الرسول صلّى الله عليه وسلم وفعله وتقريره مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعيّ.

وخلاصة القول إذا أطلق لفظ الحديث أُريد به ما أُضيف إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم وقد يُراد به ما أُضيف إلى صحابي أو تابعي ولكنه غالبا ما يقيد في مثل هذه الحال[1] فأغْلب كتب الحديث تشتمل على أقواله صلّى الله عليه وسلم وعلى أقوال الصحابة التي تحكي فعلا من أفعاله وقولا من أقواله أو حالا من أحواله أو تحكي ما يساوي ذلك من أمور عامة تتعلق بالنّاس أو أمور خاصة من أمور الدين ونحوها من أمور هذه الحياة وقد تشتمل كتب الحديث كذلك على أقوال صادقة عن بعض التابعين كالزهري وهشام بن عروة وعمر بن عبد العزيز وغيرهم كما نرى المؤلفين في غريب الحديث يوردون ألفاظا من أقوال رسول الله صلّى الله عليه وسلم أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم أو أقوال بعض التابعين وهذه الأقوال المنسوبة إلى الصحابة والتابعين متى جاءت عن طريق المُحدِّثين تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم من جهة الاحتجاج بها في إثبات مادة لغوية أو دعم قاعدة نحوية أو صرفية.[2]

---

[1] أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب w. الفكر، ط.2. 1971م ص727 28

[2] موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي، خديجة الحديثي، د. الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات (265)(1981 F 13

المبحث الثّاني:

البلاغة النبويّة

أ- أقوال العلماء في فصاحة الرسول صلّى الله عليه وسلم:

منح الله سبحانه وتعالى نبينا صلّى الله عليه وسلم من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده فمن ذلك كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة، وكلام النبوة دون كلام الخالق وفوق كلام فصحاء المخلوقين فيه جوامع الكلام ومعجزات البلاغة والفصاحة.

وقد وصف الجاحظ كلام النبي صلّى الله عليه وسلم قائلا:

" هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكَثُر عدد معانيه وجلّ عن الصنعة ونُزِّه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد: ﴿وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ص،آية 86 فكيف وقد عاب التشديق وجانب أهل القعيب واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة وشُيِّد بالتأييد ويُسِّر بالتوفيق.

وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة. وغشّاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام وهو مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلّت به قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يَبُذّ الخطب الطوال بالكلم القصار ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتجّ إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثمّ لم يُسمع بكلام قطّ أعم نفعا ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح معنى ولا أبين عن فحواه من كلامه صلّى الله عليه وسلم.[1]

وقال أبو الفضل عياض: " وأمّا فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلّى الله عليه وسلم من ذلك بالمحلّ الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمّة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في

[1] . البيان والتبيين، الجاحظ، ت. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. السابعة، 1998 1998 21 ص 16. 17

منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله، من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه..... وقد روت الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنّه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره، وقد جُمعت من كلماته التي لم يسبق إليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها.... ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب الفكر في أداني حكمها.

فجُمِع له بذلك صلّى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر، وقالت أم معبد في وصفها له صلّى الله عليه وسلم: " حلو المنطق فصل لا نزر وهذر كان منطقه خرزات نُظِمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلّى الله عليه وسلم ". [1]

وقال ابن الأثير الجزري: "وقد عَرفْتَ أيّدك الله وإيّانا بلُطفه وتوفيقه أنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أفصح العرب لسانا، وأوضَحَهُمْ بيانا وأعذَبَهم نُطقا، وأسَدَّهم لفظا وأبيَنَهم لَهجَة، وأقومَهم حُجة، وأعرَفَهُم بمواقع الخطاب، وأهدَاهم إلى طُرق الصواب. تأييداً إلهياً، ولُطفا سماويا. وعنايَةً رَبَّانية، ورعايَةً رُوحانية".[2]

وقال الخطابي: "إنّ الله لما وضع رسوله صلّى الله عليه وسلم موضع البلاغ من وَحْيه، ونَصَبه مَنْصِب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربَها، ومن الألْسُن أفصحها وأبينَها؛ ثمّ أمدَّه بجوامع الكلم، ومن فصاحته أنّه تكلَّم بألفاظٍ اقتضبها لم تُسْمَع من العرب قبله ولم توجد في مُتقدّم كلامها؛ كقوله: مات حَتْفَ أنْفه، وحَمَى الوطيس، ولا يُلْدَغ المؤمنُ من جحْر مرَّتين في ألفاظ عديدة تجْري مَجْرى الأمثال، وقد يدخل في هذا إحداثُه الأسماء الشرعية".[3]

وقال الرافـــعي: " أمّا فصاحته صلّى الله عليه وسلم فهي من السمت الذي لا يؤخذ فيه على حقه، ولا يتعلق بأسبابه متعلق، فإن العرب وإن هذّبوا الكلام وحذّقوه وبالغوا في إحكامه وتجويده، إلا أنّ ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم، ورَوِيّة مقصودة، وكان عن تكلف يستعان

---

[1] . الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ت. علي محمد البجاوي، د. الكتاب العربي 1984 1 ص 95 107.

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، ت.طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (1399هـ - 1979م)7 11 ص 4.

[3] المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ج 1 ص 165(166.

له بأسباب الإجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية فيهم، فيشبه أن يكون القول مصنوعًا مقدّرًا على أنّهم مع ذلك لا يسلمون من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب، ومن حذف في موضع إطناب، وإطناب في موضع حذف، ومن كلمة غيرها أَلْيَق، ومعنى غيره أرد، ثمّ هم في باب المعاني ليس لهم إلا حكمة التجربة، وإلا فضل ما يأخذ بعضهم عن بعض، قلّ ذلك أو كثر، والمعاني هي التي تعمر الكلام وتستتبع ألفاظه، وبحسبها يكون ماؤه ورونقه، وعلى مقدارها.

وعلى وجه تأديتها يكون مقدار الرأي فيه ووجه القطع به بيد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان أفصح العرب، على أنّه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، ثمّ لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه ولا تستزلّه الفجاءة وما بيده من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع، وعن النمط الغريب والطريقة المحكمة، بحيث لا يجد النظر إلى كلامه طريقًا يتصفح منه صاعدًا أو منحدرًا ثمّ أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي إلهام النبوة، ونتاج الحكمة، وغاية العقل، وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد والمجيء في كل ذلك من وراء الغاية.[1]

وقال الدكتور حسن جاد: " وإذا كان العرب أمة البلاغة، وأئمة الفصاحة؛ تعنو لهم أزمة القول، وتنقاد أعنة الكلام، ويهتفون بروائع الخيال، فينصاع لهم عصيه، ويذل لهم أبيه، وينقاد شامسه، وإذا كان الكلام صناعتهم التي بها يباهون ويتشدقون؛ فلا بد أن يكون الرسول الذي يبلغهم عن ربهم، ويهدم عقائدهم الباطلة، ومذاهبهم الزائفة؛ ويغير ما ألفوا من عادات، وما ورثوا من تقاليد.. لا بد أن يكون بيانه أسمى من بيانهم، ومنطقه أبلغ من منطقهم، ومن هنا كان تأييد الله سبحانه له بمعجزة القرآن، وحجة البيان.

ومن هنا كان بيانه عليه السلام السحر الحلال، والنبع الدافق، والمشرع العذب الذي يتفجر من طبع مهذب مصقول، وفطرة عريقة أصيلة، تساندت في صقلها أقوى العوامل، وتعاونت على إذكائها أبلغ المؤثرات، إذ نشأ وتقلب في أفصح القبائل وأصحها لهجة،

[1] تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج2 ص 224 225.

وأخلصها منطقا، وأعذبها بيانا، وأرهفها جنانا، وأقومها سليقة ". [1]

ب- جوامع كلمه صلّى الله عليه وسلم:

أوتي النبيّ صلّى الله عليه وسلم جوامع الكلم، فكان يقول العبارة قليلة الكلمات فتحمل المعاني الكثيرة والحكم البالغة، بلا تعقيد ولا تكلّف، فتسري مسرى الأمثال، ويحفظها الصغير قبل الكبير، وينتفع بها المسلمون عبر مرّ العصور، وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أوتيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَجُعِلَتْ لِي الأرض مَسْجِدًا وَطَهُورًا »[2] ومن جوامع كلمه صلّى الله عليه وسلم:

قوله: « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ »[3] وقوله في موضع آخر: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ »[4]، وحول الصبر يقول: « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى ».[5]

ويقول في حضّ الناس على العمل: « اليدُ الْعُلْيا خيرٌ من اليدِ السُّفلى، وابدأْ بمن تَعُولُ ».[6]

وعن أفضل المال يقول: « خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأبورَةٌ أو فَرَسٌ مَأْمُورَةٌ ».[7]

ويقول: «خير المال عين ساهرة، لعين نائمة»[8] وعن النخل يقول صلّى الله عليه وسلم: « نعمت العمّة لكم النخلة، تغرس في أرض خوارة، وتشرب من عين خرارة »[9].

---

[1] مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد 5 149 150.

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج12 ص 366.

[3] صحيح البخاري، البخاري، ت. محمد زهير بن ناصر الناصر، د. طوق النجاة ط.1. 1422هـ، ج1 ص6.

[4] نفسه، ج1 ص 21.

[5] نفسه، ج2 ص 79

[6] مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتَبَة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض، ط.1(1422هـ - 2002م)6 13 ص 419.

[7] غريب الحديث، الخطابي، ت. عبد الكريم إبراهيم الغرباوي, وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، د. الفكر(1402هـ - 1982م)9 14 ص 729

[8] غريب الحديث، ابن قتيبة، ت. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط.1. 1397هـ، ج3 ص 754

[9] أُنظر: الفائق في غريب الحديث و الأثر، الزمخشري، ت. علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، د. المعرفة، لبنان، ط.2 : 1 ص 273

ويقول: « الرّاسخات في الوحل، المطعمات في المحل »[1]، ويقول عن بركة الخيل: «الخيل معقود في نواصيها الخير» [2]، وعن الرزق: «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى».[3]

ومن حكمه صلّى الله عليه وسلم حول الناس وأحوالهم: « تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ »[4]؛ «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هونًا مَا عَسَى أن يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هونًا مَا عَسَى أن يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»[5]، ومن ذلك قوله: « لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ ».[6]

وهناك الكثير من الحكم والأمثال النبويّة منثورة في بطون كتب الحديث، وبما أنّ هذا البحث لا يحتمل الإطالة اكتفيت بهذا القدر.

ج- عبارات لم تُسمع قبله صلّى الله عليه وسلم:

وفي هذا عقد الرافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، مبحثا سمّاه: (تأثيره في اللّغة صلّى الله عليه وسلم) ومن هذه المفردات والعبارات:

« مات حتفَ أنفه »[7]، ومثل ذلك قوله في الحرب: « الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ »[8] وقوله صلّى الله عليه وسلم: « يا خَيْ: الله ارْكَبي »[9] ومن أقواله كذلك: « بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السَّاعَةِ»[10] و « لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ ».[11]

---

[1] المصدر السابق، ج1 ص 254

[2] النهاية في غريب الحديث و الأثر، ابن الأثير الجزري، ج3 ص 271

[3] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج36 ص 52

[4] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، د. إحياء التراث العربي، بيروت، ج4 ص 1958

[5] سنن الترمذي، الترمذي، ت. إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط.2 (1395هـ - 1975م)5 41 ص 360

[6] مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، أبو بكر الخرائطي، ت. أيمن عبد الجابر البحيري، د. الآفاق العربية، القاهرة، ط.1 (1419هـ - 1999م) 9 9 196

[7] مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج26 ص 340

[8] نفسه، ج3 ص 298

[9] انظر، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، د. المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج7 ص 413

[10] سنن الترمذي، الترمذي، ج4 ص 496

[11] السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، ت.مصطفى السقا و آخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط.2 (1375هـ - 1955م) 2 ص 637

وقوله لأبي سفيان بن حرب: « كل الصَّيْد فِي جَوف الفرا »[1] وكذا قوله: « هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ، وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ ».[2]

د- خطبه صلّى الله عليه وسلم:

قد عرفنا فيما سبق أنّه صلّى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم، فبالعبارات القليلة التي تحمل المعاني الكثيرة يؤثر في النّاس أيّما تأثير ويهديهم بتوفيق الله إلى الصراط المستقيم على أنّه لا يؤخذ ممّا قدمنا أنّه صلّى الله عليه وسلم لم يكن يطيل الكلام إن رأى وجهاً للإطالة، فربما فعل ذلك إن لم يكن منه بدّ، وقد روى أبو سعيد الخدري أنّه صلّى الله عليه وسلم خطب بعد العصر فقال:

« ألا إن الدنيا خضرة حلوة، ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعلمون، فاتّقوا الدنيا، واتقوا النساء، ألا لا يمنعهنّ رجلاً مخافة الناس أن يقول الحقّ إذا علمه »، قال أبو سعيد: " ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف " فقال: « أنّه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى ».

يقول الرافعي: "وهذه مدة لا تقدر في عُرْفنا بأقل من ساعتين، وحسبك بكلام من البلاغة النبويّة يستوفيهما، بيْد أنّ الإقلال كان الأعمّ الأغلب، حتى ورد أنّه كان يقصرِ الخطبة، فروى أبو الحسن المدائني قال: " تكلم عمّار بن ياسر يوماً، فأوجز "، فقيل له: " لو زدتنا " قال: " أمرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم بإطالة الصلاة وقَصر الخطبة ". [3]

وفي هذا الصدد نكتفي بخطبة واحدة له صلّى الله عليه وسلم، قالها بعد غزوة حنين، عندما قسّم الغنائم الكثيرة التي غَنِمها من الطائف على المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار منها – وهم من ثبتوا في تلك الغزوة – حتى وجدوا عليه في أنفسهم، فجمعهم النبي صلّى الله عليه وسلم وخطب فيهم هذه الخطبة: " فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هو لَهُ أَهْلٌ، ثمّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟»، قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ

---

[1] الفائق في غريب الحديث و الأثر، الزمخشري، ج1 ص 223

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج38 ص 316

[3] انظر:إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، د. الكتاب العربي، بيروت ط.8 (1425هـ – 2005م)- ص 206

وَأَفْضَلُ. قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّه، وَلِلَّه وَلِرَسُولِه الْمَنُّ وَالْفَضْلُ« قَالَ: «أَمَا وَاللَّه لَوشِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَن يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّه فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَو سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»» قَالَ: " فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ "، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّه قِسْمًا وَحَظ ا "" ثمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا.[1]

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج18 ص 253

المبحث الثّالث:

تدوين الحديث

أ- المرحلة الأولى:

اشتهر بين عامّة النّاس من غير ذوي التّتبع والاستقصاء أنّ الحديث أو ما يطلق عليه علماء الحديث لفظ (العلم) ظلّ أكثر من مائة سنة يتناقله العلماء حفظاً دون أن يكتبوه، واستمرَّ هذا الظن قرابة خمسة قرون متتابعة وهو يزيد توسعاً ويطَّرد قوةً، حتى جاء الخطيب البغدادي فتتبّع مسائل هذا الموضوع وجمع شتاته، وألّف في ذلك كتابه "تقييد العلم"" وأثبت فيه أنّ الحديث النبويّ قد كتب منه الكثير في عهد النبي صلّى الله عليه وسلم[1] وقد جمعت بعض الأدلة من الأحاديث، منها ما في (التقييد)، ومنها ما وجد في غيره :

1- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ، وَقَالَ: «اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ».[2]

2- عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثمّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فإنها لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وإنها أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وإنها لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلاَ تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فهو بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أن يُفْدَى وَإِمَّا أن يُقِيدَ »، فَقَالَ العَبَّاسُ: إِلَّا الإِذْخِرَ، فإنا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا الإِذْخِرَ» فَقَامَ أبو شَاه - رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ - فَقَالَ: " اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ "، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[1] اُنظر: تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، محمد مطر الزهراني، د. الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط.1(1417هـ - 1996م) 6 9 65

[2] سنن الدارمي، الدارمي، ت.حسين سليم أسد، د. المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط.1 (1412هـ - 2000م) 1 ص 429

وَسَلَّمَ: «اكْتُبُوا لِأَبِي شَاه»، قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: " مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ " قَالَ: " هَذِهِ الخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".[1]

3- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ" مَا كَانَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّه كَانَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ، وَيَعِيهِ بِقَلْبِهِ، وَكُنْتُ أَعِيهِ بِقَلْبِي، وَلَا أَكْتُبُ بِيَدِي، وَاسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكِتَابِ عَنْهُ، فَأَذِنَ لَهُ ".[2]

4- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ شَيْئًا فَأَكْتُبُهُ قَالَ: «نَعَمْ».[3]

5- كما ثبت أنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى مُلُوكِ عَصْرِهِ وَأُمَرَاءِ جَزِيرَةِ العَرَبِ كُتُبًا يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى الإِسْلاَمِ وكان يُنفذ مع بعض أمراء سراياه كُتُباً ويأمرهم أن لا يقرؤوها إلا بعد أن يجاوزوا موضعاً معيناً.

كما ثَبَتَ أنّ بعض الصحابة كانت لهم صُحُفٌ يُدَوِّنُونَ فيها بعض ما سمعوه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التي كان يسميها بـ " الصادقة ".

وثبت أنّ عليّا – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – كانت عند صحيفة فيها أحكام الديّة على العاقلة وغيرها، كما ثبت " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ لِبَعْضِ عُمَّالِهِ كُتُبًا حُدِّدَتْ فِيهَا مَقَادِيرُ الزَّكَاةِ فِي الإِبِلِ وَالغَنَمِ ".[4]

ب- المرحلة الثّانية:

بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وسلم، جاء عصر الصحابة وفيه لم تدوّن السنّة النبويّة إلا قليلا، فعمر بن الخطاب – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أراد تدوين السُّنَّة ولكنّه عدل عن ذلك، فقد أخرج البيهقي في "المدخل " عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَرَادَ أن يَكْتُبَ السُّنَنَ، فَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ أن يَكْتُبَهَا، فَطَفِقَ عُمَرُ يَسْتَخِيرُ اللَّهَ فِيهَا شَهْرًا، ثمّ أَصْبَحَ يَوْمًا وَقَدْ عَزَمَ اللَّهُ لَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ

---

[1] صحيح البخاري، البخاري، ج3 ص 125

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج15 ص 127

[3] تقييد العلم، الخطيب البغدادي، إحياء السنة النبوية، بيروت، ص 74

[4] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي: (دمشق – بيروت)7 1. 3. (1402هـ – 1982م) 2 9 060 61

أن أَكْتُبَ السُّنَنَ، وَإِنِّي ذَكَرْتُ قَوْمًا كَانُوا قَبْلَكُمْ كَتَبُوا كُتُبًا فَأَكَبُّوا عَلَيْهَا وَتَرَكُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنِّي – وَاللَّهِ – لاَ أُلْبِسُ كِتَابَ اللَّهِ بِشَيْءٍ أَبَدًا»[1]؛ وقد وافق الصحابة عمرا رضي الله عنه، لما قد يحدث من خلط، فالقرآن مازال غضّا طريّا والأمم تدخل في دين الله أفواجا، ولمّا كَثُر الكذب على النبيّ صلّى الله عليه وسلم وانتشر الوضع في الحديث، سمح بكتابة الحديث.

وانكبّ التابعون على كتابة الحديث في حلقات الصحابة، بل إن بعضهم كان يحرص على الكتابة حرصًا شديدًا، فهذا سعيد بن جبير (ت95هـ) كان يكتب عن ابن عباس، فإذا امتلأت صحفه كتب في نعله حتى يملأها، وعنه قال: «كُنْتُ أَسِيرُ بَيْنَ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، فَكُنْتُ أَسْمَعُ الحَدِيثَ مِنْهُمَا، فَأَكْتُبُهُ عَلَى وَاسِطَةِ الرَّحْلِ حَتَّى أَنْزِلَ فَأَكْتُبَهُ»، ورخّص سعيد بن المسيّب (ت94هـ) لعبد الرحمن بن حرملة بالكتابة حينما شكا إليه سوء حفظه، ونرى عامرًا الشعبي بعد أن كان يقول: «مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ... » يُرَدِّدُ قَوْلَهُ: «الكِتَابُ قَيْدُ العِلْمِ»، وكان يحضّ على الكتابة ويقول: « إِذَا سَمِعْتُمْ مِنِّي، شَيْئًا فَاكْتُبُوهُ وَلَو فِي حَائِطٍ »، ومع هذا فقد رُوى أنّه لم يوجد له بعد موته إلاّ كتاب بالفرائض والجراحات، وإذا كانت كتبه التي تركها قليلة ولا تدل على نشاطه العلمي، فهذا يرجع إلى قوة حافظته، لأنّه كان يعتمد على الحفظ أكثر من اعتماده على الكتابة، وهذا لا ينافي قط إملاءه لطلابه وحثهم على الكتابة، ويقول الضحّاك بن مزاحم (ت105هـ): «إِذَا سَمِعْتَ شَيْئًا، فَاكْتُبْهُ وَلَوفِي حَائِطٍ »» كما أنّه أملى على حسين بن عقيل مناسك الحج وانتشرت الكتب حتى قال الحسن البصري (ت110هـ): «إِنَّ لَنَا كُتُبًا نَتَعَاهَدُهَا».[2]

وتكاد تجمع الروايات أنّ أوّل من فكر بالجمع والتدوين من الخلفاء عمر بن عبد العزيز، إذ أرسل إلى أبي بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة «انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَاكْتُبْهُ، فإنّي خِفْتُ دُرُوسَ العِلْمِ، وَذَهَابَ العُلَمَاءِ»» وطلب منه أن يكتب له ما عند عَمْرَةَ بِنْتَ عَبْدِ الرَحْمَنِ الأَنْصَارِيَّةَ (ت98هـ) والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت106هـ)) والذي يظهر أنّه لم يخصّ ابن حزم بهذا العمل الجليل، بل أرسل إلى

---

[1] المدخل إلى السنن الكبرى، البيهقي، ت. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، د. الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ص 407

[2] السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، د. الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط. 3. (1400هـ – 1980م) 0 9 325(328

ولاة الأمصار كلها وكبار علمائها يطلب منهم مثل هذا، فقد أخرج أبو نعيم أن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الآفَاقِ: «انْظُرُوا إِلَى حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ فَاجْمَعُوهُ»» وبذلك نَفَّذَ عمر رغبة جَدِّهِ عمر بن الخطاب التي جاشت في نفسه مُدَّةً ثمّ عدل عنها خوفاً من أن تلتبس بالقرآن أو يصرف الناس إليها، والذي يظهر أنّ أبا بكر بن حزم كتب لعمر شيئاً مِنَ السُنَّةِ فقد أنفذ إليه ما عند عَمْرَةَ والقاسم، ولكنه لم يُدَوِّنُ كل ما في المدينة من سُنَّةٍ وَأَثَرٍ، وإنما فعل هذا الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهْرِيِّ (ت124هـ) الذي كان عَلَماً خفَّاقاً من أعلام السُنَّةِ في عصره والذي كان عمر بن عبد العزيز يأمر جلساءه أن يذهبوا إليه لأنّه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم بِالسُنَّةِ منه، وقد ذكر (الإمام مسلم) أنّ له تسعين حَدِيثًا لا يرويها غيره، وذكر كثيراً من أئمة العلم في عصره أنّه لولا الزُّهْرِيِّ لضاعت كثير من السُنَنِ هذا مع وجود الحسن البصري في عصر الزُّهْرِيِّ والذي يظهر أيضاً أنّ تدوين الزُّهْرِي للسُنَّةِ لم يكن كالتدوين الذي تم على يد البخاري ومسلم أو أحمد وغيره من رجال المسانيد، وإنما كان عبارة عن تدوين كل ما سمعه من أحاديث الصحابة غير مُبَوَّبٍ على أبواب العلم، وربما كان مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التَّابِعِينَ، وهذا ما تقتضيه طبيعة البداءة في كل أمر جديد.[1]

ج- المرحلة الثّالثة:

وفي هذه المرحلة رأى بعض العلماء أن تُفرد أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مؤلفات خاصة، فأُلِّفت المسانيد، وهي كتب تضمّ أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسانيدها خالية من فتاوى الصحابة والتابعين، تجمع فيها أحاديث كل صحابي – ولو كانت في مواضيع مختلفة – تحت اسم مسند فلان، ومسند فلان، وهكذا وأوّل من ألف المسانيد أبو داود سليمان بن الجارود الطيالسي (ت204هـ)) وتبعه من عاصره من أتباع التابعين وأتباعهم، فصنف أسد بن موسى الأموي (ت212هـ)، وعبيد الله بن موسى العبسي (ت213هـ)، ومسدد البصري (ت228)) ونعيم بن حماد الخزاعي المصري (ت228هـ) واقتفى الأئمة آثارهم،

كأحمد بن حنبل (ت241هـ)، وإسحاق بن راهويه (ت238هـ)، وعثمّان بن أبي شيبة (ت239هـ)) وغيرهم ويعتبر " مسند الإمام أحمد بن حنبل "– وهو من أتباع أتباع التابعين –

[1] السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، ص 104 105

أوفى تلك المسانيد وأوسعها.[1]

وكانت طريقة هؤلاء في التأليف أن يُفردوا حديث النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتأليف دُونَ أقوال الصحابة وفتاوى التَّابِعِينَ، ولكنّهم كانوا يمزجون فيها الصحيح بغيره، وفي ذلك من العناء ما فيه على طالب الحديث، فإنه لا يستطيع أن يتعرف على الصحيح منها إلا أن يكون من أئمة الشأن، فإن لم يكن له وقوف على ذلك اضطرّ إلى أن يسأل أئمة الحديث1 فإن لم يتيسر له بقي الحديث مجهول الحال عنده.

وهذا هو ما حدا بإمام المُحَدِّثِينَ وَدُرَّةَ السُنَّةِ في عصره محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ) أن ينحو في التأليف مَنْحًى جديداً بأن يقتصر على الحديث الصحيح فقط دُونَ ما عداه، فألَّفَ كتابه "الجامع الصحيح" المشهور، وتبعه في طريقته معاصره وتلميذه الإمام مُسْلِمٌ بْنُ الحَجَّاجِ القُشَيْرِيُّ (ت261هـ) فألَّفَ " صحيحه " المشهور، وكان لهما فضل تمهيد الطريق أمام طالب الحديث ليصل إلى الصحيح من غير بحث وسؤال، وتبعهما بعد ذلك كثيرون، فأُلِّفَتْ بعدهما كتب كثيرة من أهمها: " سُنن أبي داود " (ت275هـ) و" النسائي " (ت303هـ) و" جامع الترمذي " (ت279هـ) و" سُنن ابن ماجه " (ت273هـ) وقد جمع هؤلاء الأئمة في مُصَنَّفَاتِهِمْ كُلَّ مُصَنَّفَاتِ الأئمة السابقين، إذ كانوا يروونها كما هي عادة المُحَدِّثِينَ، ثمّ جاء القرن الرابع فلم يزد رجاله على رجال القرن الثّالث شيئاً جديداً إلا قليلاً مِمَّا استدركوه عليهم، وكل صنيعهم جمع ما جمعه من سبقهم والاعتماد على نقدهم، والإكثار من طرق الحديث، ومن أشهر الأئمة في هذا العصر الإمام سليمان بن أحمد الطبراني (ت360هـ) ألَّفَ معاجمه الثلاثة: " الكبير " وذكر فيه الأحاديث بجمع ما رواه كل صحابي على حدة، وَرَتَّبَ فيه الصحابة على الحروف وهو مشتمل على خمسمائة، وخمسة وعشرين ألف حديث. و" الأوسط ". و" الأصغر "، ذكر فيهما الأحاديث بجمع ما رواه كل شيخ من شيوخه على حدة، وَرَتَّبَ فيهما شيوخه على الحروف أيضاً" ومنهم الدَّارَقُطْنِيُّ (ت385هـ) ألّف " سُنَنَهُ " المشهورة، وَابْنُ حِبَّانَ البُسْتِيِّ (ت354هـ) وَابْنُ خُزَيْمَةَ (ت311هـ) وَالطَّحَاوِي (ت321هـ).

---

[1] السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، ص 338 339

وبهذا تم تدوين السُنَّةِ وجمعها وتمييز صحيحها من غيرها، ولم يكن لعلماء القرون التالية إلا بعض استدراكات على كتب الصحاح، كـ "مستدرك " أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ) الذي استدرك فيه على البخاري ومسلم أحاديث يرى أنّها من الصحاح متفقة مع شرطيهما مع أنّهما لم يخرجاها في " صحيحيهما "، وقد سَلَّمَ له العلماء – ومن أشهرهم الذهبي – قسماً منها وخالفوه في قسم آخر. [1]

[1] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، ص 106 107

المبحث الرابع:

أشهر كتب الحديث

أ- صحيح البخاري:

واسمه "الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلّى عليه وسلم وسننه وأيامه" للإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري المولود سنة (194هـ)، والمتوفى سنة (256هـ) رحمه الله، وصحيح البخاري أول ما صنف في الحديث الصحيح صنّفه على أبواب الفقه، وأفتن في الصناعة الحديثية، وفي الترجمة للأبواب كما أحسن الاستنباطات الكثيرة والفوائد الجليلة وغير ذلك مما يدل على غزارة علمه، وعمق فهمه، هذا إلى جانب تحرّيه في الرّجال والأسانيد، وبهذا احتل صحيح البخاري المكان الأول بعد القرآن الكريم ؛ فعكف الناس على دراسته وحفظه، كما اشتغل كثير من الأئمة في شرحه وبيان ما تضمّنه من علوم وفوائد ؛ فكان كتاب البخاري محل حفظ وعناية ودراسة وتقدير الأمة الإسلامية على مر الزمان.[1]

وَأمّا عدد أَحَادِيث البُخَارِيّ فَقَالَ ابْن الصّلاح سَبْعَة آلاف ومائتان وَخَمْسَة وَسَبْعُونَ حَدِيثا بالأحاديث المكررة وَتَبعهُ النَّوَوِيّ فَذكرهَا مفصلة وَتعقب ذَلِك الْحَافِظ ابْن حجر بَابًا بَابًا محررا ذَلِك وَحَاصله أنّه قَالَ: " جَمِيع أَحَادِيثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على مَا حررته وأتقنته سَبْعَة آلَاف وثلاثمّائة وَسَبْعَة وَتسْعُونَ حَدِيثا "" فقد زَاد على مَا ذَكرُوهُ مائَة حَدِيث واثنين وَعشْرين حَدِيثا.[2]

شروح صحيح البخاري:

هناك شروحا للكتاب كثيرة جد ا، وأجود هذه الشروح خمسة:

1- فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ثلاثة عشر مجلدا - لابن حجر (ت852هـ).

2- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لمحمود العيني (ت855هـ).

3- التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطي (ت911هـ).

---

[1] لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط. التاسعة عشر، (1422هـ - 2001م) 169- 170

[2] الحطة في ذكر الصحاح الستة، صديق حسن خان القِنَّوجي، د. الكتب التعليمية، بيروت، ط.1 (1405هـ - 1985م) ص 175

4- إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري للقسطلاني (ت923هـ).

5- تحفة الباري لشرح صحيح البخاري لزكريا الأنصاري (ت926هـ). [1]

ب- صحيح مسلم:

وهو الجامع الصحيح لحجّة الإسلام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المولود سنة (204هـ)) والمتوفى سنة (261هـ) في نيسابور صنّف الإمام مسلم صحيحه على أبواب الفقه وقد اختار أحاديث كتابه من ثلاثمّائة ألف حديث مسموعة وتحرّى في الرجال والمتون وجمع طرق الحديث الواحد في مكان واحد من كتابه ؛ مما يسهل الرجوع إليها واستنباط الأحكام منها وقد احتل صحيح مسلم المنزلة الثّانية بعد صحيح البخاري، وأجمع العلماء على أنّ جميع ما في الصحيحين من المتصل المرفوع صحيح بالقطع وأنّهما أصح كتب الحديث.[2]

قَالَ النَّوَوِيّ: صَنّف مُسلم فِي علم الحَدِيث كتبا كَثِيرَة مِنْهَا هَذَا الْكتاب الصَّحِيح وهو فِي نِهَايَة الشُّهْرَة وهو متواتر عَنهُ من حَيْثُ الْجُمْلَة2 وَقد تفرد بفائدة حَسَنَة وَهِي كَونه أسهل متْنا وَلَا من حَيْثُ أنّه جعل لكل حَدِيث موضعا وَاحِدًا يَلِيق بِهِ جمع فِيهِ طرقه الَّتِي ارتضاها فَاخْتَارَ ذكرهَا وَأورد فِيهِ أسانيده المتعددة وَأَلْفَاظه الْمُخْتَلفَة فيسهل على الطَّالب النّظر فِي وجوهه واستثمّارها وَيحصل لَهُ الثِّقَة بِجَمِيعِ مَا أوردهُ مُسلم من طرقه بِخِلَاف البُخَارِيّ.

ومما جاء في فضل صحيح مسلم قول مكي بن عبدان أحد حفاظ نيسابور: "سمعت مسلم بن الحجاج رضي الله عنه يقول: " لو أنّ أهل الحديث يكتبون مائتي سنة الحديث فمدارهم على هذا المسند "، يعني صحيحه "" قال: وسمعت مسلما يقول: " عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أنّ له علّة تركته وكل ما قال أنّه صحيح وليس له علة خرّجته "، وذكر غيره ما رواه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي بإسناده عن مسلم رحمه الله قال: " صنّفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمّائة ألف حديث مسموعة ".[3]

---

[1] المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة، سلسلة التراث العربي الإسلامي، ط.2 (1424هـ - 2003م) 3 0 104

[2] لمحات في المكتبة و البحث و المصادر، محمد عجاج الخطيب، ص 170(171

[3] ينظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، د. إحياء التراث العربي، بيروت، ط.2. 1392هـ، ج1 ص 11l 15

شروح صحيح مسلم:

لصحيح مسلم عشرات الشروح والاختصارات ومن شروحه:

1- منهاج المحدثين وسبيل تلبية المحققين للنووي (ت676هـ).

2- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي (ت911هـ).

3- منهاج الابتهاج بشرج مسلم بن الحجاج، وهذا الكتاب شرح نصف صحيح مسلم في ثمّانية أجزاء كبار، لأحمد بن محمد الخطيب القسطلاني (ت923هـ).[1]

ج- سنن أبي داود :

للإمام الثّبت سيّد الحفّاظ سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، المولود سنة (202هـ)ن والمتوفى سنة (275هـ)، صنّف أبو داود كتابه على أبواب الفقه، واقتصر فيه على السنن والأحكام) فلم يذكر فيه القصص والمواعظ والأخبار والرقائق وفضائل الأعمال فكتابه خاص بأحاديث الأحكام، ولم يقصد فيه تخريج الحديث الصحيح فقط بل أخرج فيه الصحيح والحسن وما دون ذلكw وكثيرًا ما يشير إلى ما فيه نكارة أو ضعف شديد.[2]

وَرُوِيَ عَن يحيى بن زَكَرِيَّا بن يحيى السَّاجِي أنّه قَالَ: " أصل الْإِسْلَام كتاب الله سبحانه وَتَعَالَى وعماده سنَن أبي دَاوُد "، وَقَالَ ابْن الْأَعرَابِي: " إن حصل لأحد علم كتاب الله وَسنَن أبي دَاوُد يَكْفِيهِ ذَلِك فِي مُقَدّمَات الدّين وَلِهَذَا مثلُوا فِي كتب الْأُصُول لبضاعة الِاجْتِهَاد فِي علم الحَدِيث بسنن أبي دَاوُد وهو لما جمع كتاب السّنَن قَدِيما عرضه على الإِمَام أحمد بن حَنْبَل فاستجاده وَاسْتَحْسنهُ.

وَقَالَ الْحَافِظ أبو بكر الْخَطِيب: " كتاب السّنَن لأبي دَاوُد كتاب شرِيف. لم يصنف فِي علم الدّين كتاب مثله وَقد رُزق الْقبُول من كَافَّة النَّاس وطبقات الْفُقَهَاء على اخْتِلَاف مذاهبهم وَعَلِيهِ معوّل أهل الْعرَاق ومصر وبلاد الْمغرب وَكثير من أقطار الأرض فَكَانَ تصنيف عُلَمَاء الحَدِيث قبل أبي دَاوُد الْجَوَامِع وَالْمَسَانِيد وَنَحْوهَا فَيجمع تِلْكَ الْكتب إِلَى مَا فِيهَا من السّنَن وَالْأَحْكَام أَخْبَارًا وقصصا ومواعظ وأدبا، فَأَما السّنَن الْمَحْضَة فَلم يقْصد أحد جمعهَا واستيفاءها على حسب مَا اتّفق لأبي دَاوُد كَذَلِك حل هَذَا الْكتاب عِنْد أَئِمَّة الحَدِيث

[1] المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة، ص 106

[2] لمحات في المكتبة و البحث و المصادر، محمد عجاج الخطيب، ص 172

وعلماء الْأَثر مَحل الْعجب فَضربت فِيهِ أكباد الْإِبِل ودامت إِلَيْهِ الرحل ".[1]

شروح سنن أبي داود:

شرحها كثير من العلماء من أشهرهم:

1- الإمام الخطابي (ت388هـ) في كتابه: معالم السنن.

2- قطب الدين أبو بكر اليمني الشافعي (ت652 هـ)، في أربعة مجلدات كبار.

3- أبو زُرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت826هـ)، شرح سجود السهو.

4- بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت855هـ)، شرحه لم يكتمل.

5- السيوطي (ت911هـ) شرحه في كتاب: مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود.

6- العظيم أبادي في كتابه: عون المعبود في أربعة مجلدات.

7- الشيخ خليل أحمد(ت1346هـ)، في كتابه: بذل المجهود في حل سنن أبي داود.[2]

د- سنن النَّسَائي:

للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسَائي – بفتح النون والسين نسبة إلى بلده نَسَاء بخراسان – المولود سنة (215هـ)، والمتوفى سنة (303هـ)، صنّف النّسائي سننه ولم يخرج فيها عن راو أجمع النّقاد على تركه، وقد رتّب كتابه على أبواب الفقه، وسنن النسائي أقل السنن حديثًا ضعيفًا، وهو في مرتبة سنن أبي داود قريبة منه طُبع هذا الكتاب أكثر من مرة في ثمانية أجزاء، ومن أجود طبعاته المحققة "سنن النسائي بالتعليقات السلفية" بتحقيق فضيلة الأستاذ محمد عبد الله الفوجياني، المطبعة السلفية بلاهور في باكستان سنة (1376هـ)[3] ومن أهم مميزاته:

– هو أقل الكتب الستة بعد الصحيحين حديثا ضعيفا، ولذلك ذكروه بعد الصحيحين في المرتبة؛ لأنّه أشد انتقادا للرجال، وشرطه أشد من شرط أبي داود والترمذي وغيرهما.

– يجمع بين طريقتي البخاري ومسلم مع حفظ كثير من بيان العلل.

– يحسن بيان العلل ولا يكاد يخرج لمن يغلب عليه الوهم أو فحش خطئه .

---

[1] الحطة في ذكر الصحاح الستة، ص 212

[2] المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة، ص 124

[3] لمحات في المكتبة و البحث و المصادر، محمد عجاج الخطيب، ص 173

شروح سنن النسائي:

1- شرحه السيوطي (ت911هـ)، شرحا موجزا.

2- شرحه محمد بن عبد الهادي السندي (ت1138هـ)، شرحا موجزا.

3- شرح عمر بن الملقن (ت804هـ) زوائده على: الصحيحين وأبي داود والترمذي، في مجلد.[1]

هـ- سنن الترمذي أو الجامع الصحيح:

للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المولود سنة(209هـ) المتوفى سنة (279هـ)، صنف الترمذي سننه على أبواب الفقه، وهذا المصنف من أجمع كتب الحديث وأغزرها علما وصناعة حديثية؛ فقد أخرج الترمذي في كتابه الصحيح والحسن والضعيف والغريب والمعلل) وكشف عن علته، كما ذكر المنكر وبيّن وجه النكارة فيه، وتكلّم في فقه الأحاديث ومذاهب السلف وفي الرواة، وغير ذلك مما له صلة بالحديث وبعلومه.[2]

قَالَ ابْن الْأَثِير " وَكتابه هَذَا أحسن الْكتب2 وأكثرها فَائِدَة وأحسنها ترتيبا وأقلّها تَكْرَارا وَفِيه مَا لَيْسَ فِي غَيره من ذكر الْمذَاهب ووجوه الِاسْتِدْلَال وتبيين أَنْوَاع الحَدِيث وَالْحسن والغريب "" وَقَالَ الدهلوي: " تصانيف التِّرْمِذِيّ كَثِيرَة وأحسنها هَذَا الْجَامِع الصَّحِيح بل هو من بعض الْوُجُوه والحيثيات أحسن جَمِيع كتب الحَدِيث؛ الأول من جِهَة حسن التَّرْتِيب وَعدم التّكْرَار وَالثَّانِي من جِهَة ذكر مَذَاهِب الْفُقَهَاء ووجوه الِاسْتِدْلَال لكل أحد من أهل الْمذَاهب وَالثَّالث من جِهَة بَيَان أَنْوَاع الحَدِيث من الصَّحِيح وَالْحسن والضعيف والغريب والمعلل بالعلل وَالرَّابِع من جِهَة بَيَان أَسمَاء الرواة وألقابهم وَكُنَاهُمْ وَنَحْوهَا من الْفَوَائِد الْمُتَعَلّقَة بِعلم الرِّجَال وَفِي آخر الْجَامِع الْمَذْكُور كتاب الْعِلَل وَفِيه من الْفَوَائِد الْحَسَنَة مَا لَا يخفى عَن الفطن وَلِهَذَا قَالُوا هو كَاف للمجتهد ومغن للمقلد " [3]

شروح سنن الترمذي:

عارضة الأحوذي، لأبي بكر بن العربي المالكي (ت453 هـ).

تحفة الأحوذي للمباركفوري (ت1353هـ).

---

[1] المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة، ص 125 126

[2] لمحات في المكتبة و البحث و المصادر، محمد عجاج الخطيب، 173 174

[3] اُنظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة، صديق حسن خان القِنَّوجي، ص 207 208

و- سنن ابن ماجه:

للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه المولود سنة (209هـ) والمتوفى سنة (273هـ)) هذا الكتاب في جزأين صنّفه ابن ماجه على أبواب الفقه، ولم يلتزم فيه إخراج الصحيح؛ ففيه الصحيح والحسن والضعيف، وفي هذا الكتاب أحاديث لم تخرج في الصحيحين والسنن ولهذه الميزة ضمّه العلماء إلى الكتب الستّة، طبع هذا الكتاب مرارا، ومن أجود طبعاته المحققة طبعة دار إحياء الكتب العربية بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي سنة (1372هـ-1952م) ، وقد جعل له عدة فهارس تُسهّل الاستفادة منه والرجوع إليه.[1]

شروح سنن ابن ماجة: شرح هذا الكتاب عدد من العلماء منهم:

1- سراج الدين عمر بن الملقن (ت804هـ)، شرح زوائده على الخمسة وسمى شرحه: ما تمس إليه الحاجة على سنن ابن ماجه، ثمّان مجلدات.

2- كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي (ت808هـ)، في خمسة مجلدات.

3- إبراهيم بن محمد الحلبي (ت841هـ).

4- جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، وسمى شرحه: مصباح الزجاجة.

5- محمد بن عبد الهادي السندي(ت1138هـ).

6- الشيخ الدهلوي كتب على السنن حاشية وسماها: إنجاح الحاجة.[2]

ز- مسند الإمام أحمد:

للإمام مؤلفات كثيرة أشهرها كتابه المسند. وهذا الكتاب من أعظم ما دُوِّنَ في الإسلام، ومن أجمع كتب الحديث التي كُتِبَ لها البقاء والوصول إلينا، سلك فيه مسلكًا مغايرًا لمسالك المصنفين في الحديث على الأبواب ؛ فرتب كتابه على أسماء الصحابة - كما هو الشأن في جميع المسانيد - وذكر لكل صحابي أحاديثه مسندة، وقد اختار مسنده من نحو سبعمائة وخمسين ألف حديث، وبلغ عدد ما جمعه في مسنده نحو ثلاثين ألف حديث أو يزيد، أخرجها عن قرابة ثمّانمائة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومما تجدر الإشارة إليه أنّه لم يذكر فيه شيئًا من فقه الصحابة والتابعين ومن فقهw كما فعل الإمام مالك في موطئه.

---

[1] لمحات في المكتبة و البحث و المصادر، محمد عجاج الخطيب، ص 174 175

[2] المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة، ص 121

وأحاديث المسند تدور بين الصحيح والحسن والضعيف؛ ففيه أحاديث صحيحة مما أخرجه أصحاب الكتب الستة، ومما لم يخرجوه وفيه الحسن والضعيف المحتج به، حتى أنّ الإمام السّيوطي قال: " وكل ما كان في مسند أحمد فهو مقبول، فإن الضعيف الذي فيه يقرب من الحسن ".[1]

وقد اخْتَصَرَهُ الشَّيْخ الإِمَام سراج الدّين عمر بن عَليّ الْمَعْرُوف بِابْن ملقن الشَّافِعِي المتوفي سنة (805هـ) وَعَلِيهِ تَعْلِيقه للسيوطي فِي إعرابه: سَمَّاهَا عُقُود الزبرجد وَقد شرح الْمسند أبو الْحسن بن عبد الْهَادِي السندي نزيل الْمَدِينَة المنورة المتوفي سنة (1139هـ) شرحا كَبِيرا نَحوا من خمسين كراسة كبارًا، وَاخْتَصَرَهُ الشَّيْخ زين الدّين عمر بن أحمد الشماع الْحلَبِي وَسَماهُ: الدّرّ المنتقد من مُسْند أحمد.[2]

ح- موطأ الإمام مالك:

ألّف الإمام مالك كتابه الذي اشتهر بين أهل العلم بالموطّأ على الأبواب وقد توخى فيه القوي من أحاديث أهل الحجاز، ولم يقتصر فيه على الحديث النبويّ المرفوع إلى الرسول صلّى الله عليه وسلم ؛ بل ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين، وقد بناه على نحو عشرة آلاف حديث، من مائة ألف حديث كان يحفظها؛ فكان ينظر فيه وينقحه حتى أصبح على ما هو عليه الآن، وقد استغرق في تصنيفه وتنقيحه وتحريره زمنًا طويلًا ؛ فقد عرض عمر بن عبد الواحد – صاحب الأوزاعي- الموطأ على مالك في أربعين يومًا فقال: " كتاب ألفته في أربعين سنة، أخذتموه في أربعين يومًا! ما أقل ما تفقهون ".

وقد ذكر الإمام مالك أنّه عرض كتابه الموطأ على سبعين فقيهًا من فقهاء المدينة فكلهم واطأه عليه قال: " فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ ".[3]

قال الشافعي لذلك: " ليس أحد أمنّ عليَّ في دين الله من مالك3 واعلم أيضاً أنّ الكتب المصنّفة في السنن كصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والنّسائي وما يتعلق بالفقه من صحيح البخاري وجامع الترمذي مستخرجات على الموطأ تحوم حومه، وتروم رومه ".[4]

---

[1] لمحات في المكتبة و البحث و المصادر، محمد عجاج الخطيب، ص 184 185

[2] الحطة في ذكر الصحاح الستة، صديق حسن خان القِنَّوجي، ص 224 225

[3] لمحات في المكتبة و البحث و المصادر، محمد عجاج الخطيب، ص 178

[4] الموطأ، مالك بن أنس بن مالك المدني، ت. محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، ط.1. (1425هـ - 2004م) ج1 ص 55 56

ط- غريب الحديث للخطابي:

للخطابي البستي (ت388هـ)، أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم، ينسب إلى بُسْت مدينة بين سجستان وغزنين وهراة، من أعمال كابل، حُجّة صَدُوق، رحل إلى العراق والحجاز، وخراسان، وخرج إلى ما وراء النهر، وكان محدثا فقيها أديبا شاعرا لغويا، له تصانيف عديدة منها:

- معالم السنن: شرح سنن أبي داود ت 275هـ.
- أعلام السنن: شرح صحيح البخاري ت 256هـ.
- كتاب الشجاج.
- شأن الدعاء.
- إصلاح غلط المحدثين.

وفي هذا الكتاب يورد الحديث ثمّ يتبعه بسنده، وأحيانا يأتي بسند آخر وبرواية أخرى، ثمّ يفسّر الكلمات اللغوية ويؤيد تفسيرها بحديث آخر أو بعض حديث أو آية قرآنية أو بيت من الشعر أو الرجز، وقد جعل كتابه في جزأين:

- الأول: في أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلم.
- الثّاني: في آثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.[1]

ي- النهاية في غريب الحديث والأثر:

للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت606هـ) وهذا الكتاب من أجمع وأشهر ما صُنف في غريب الحديث وهو ثمّار جهود العلماء قبل ابن الأثير، إلى جانب جهد ابن الأثير الكبير وعلمه الغزير) فقد أحسن ترتيبه على حروف المعجم فيذكر اللفظ الغريب في مادته اللغوية، ويذكر الحديث الذي ورد فيه، ويبين معناه، وقد يذكر له شواهد من الحديث واللّغة وقد ضمّنه فوائد علمية جليلة، طبع هذا الكتاب أكثر من مرة في أربع مجلدات في مصر وطبع كذلك طبعة علمية جيدة بتحقيق الأستاذين أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي سنة (1383هـ - 1963م)) بدار إحياء الكتب العربية.[2]

---

[1] المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة، ص 136

[2] لمحات في المكتبة و البحث و المصادر، محمد عجاج الخطيب 3 9 208

المبحث الخامس

الاستشهاد بالحديث النبويّ:

الحديث النبويّ يأتي بعد كلام الله العزيز فصاحة وبلاغة وصحّة عبارة، وكان ينبغي أن يُعدّ المصدر الثّاني من مصادر اللّغة المسموعة في الاحتجاج به في علوم اللّغة، وفي الاعتماد عليه في استنباط قواعد النحو والصرف والمعلوم أنّ النحاة جميعا قدماء ومحدثين يحتجون بألفاظ القرآن الكريم وأساليبه ويبنون عليها قواعدهم وأصولهم اللغوية والنحوية والصرفية مستعينين مع ذلك بما وثقوه من المسموع من كلام العرب الفصحاء في حصر الأساليب التي لم ترد في القرآن الكريم وتحديدها ووضع القواعد المستنبطة منه الواردة فيه.[1]

أ- موقف اللغويين من الاستشهاد بالحديث النبويّ:

قال الشيخ أحمد السكندري: " مضت ثمّانية قرون والعلماء من أوّل أبي أسود الدؤلي إلى ابن مالك لا يحتجون بلفظ الحديث في اللّغة، إلا الأحاديث المتواترة وقد اختلف في عددها فقيل ثلاثة وقيل خمسة إلى ستة عشر... "

ولأجل إظهار أنّ هذا الكلام مخالف للإجماع القائم على صحّة الاستشهاد بالحديث في اللّغة بين القدامى والمحدثين نأتي ببعض الأدلة تثبت الاستشهاد منها :

- إن المتصفح لكتب اللّغة قاطبة يرى أنّ الأحاديث النبويّة منثورة فيها بكثرة مستفيضة سواء منها المتواتر وغير المتواتر فقد استشهد اللغويون بالحديث في مسائل اللّغة مثل: أبي عمرو بن العلاء والخليل والكسائي والفراء والأصمعي وأبي عبيد وابن الأعرابي وابن السكيت وأبي حاتم وابن قتيبة والمبرد وابن دريد وأبي جعفر النحاس وابن خالويه والأزهري والفارابي والصاحب بن عباد وابن فارس والجوهري وابن بري وابن سيدة وابن منظور والفيروزآبادي وغيرهم.[2]

- قال السيوطي[3]: " قال أبو الحسن الشاري: ومذهبي ومذهب شيخي أبي ذر الخشني أنّ الزبيدي أخلّ بكتاب العين كثيرا لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب

---

[1] موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي، خديجة الحديثي، ص 14

[2] انظر :الحديث النبوي في النحو العربي، د محمود فجال، أضواء السلف، الرياض، ط.2 (1417هـ - 1997م) ص 100

[3] المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ج1 ص 69

منه، ولمّا علم ذلك الإمام التياني عمل كتابه فتح العين وأتى فيه بما في العين من صحيح اللّغة... دون إخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث... ".

فهذا صريح في أنّ الخليل كان يستشهد في كتابه العين بالحديث ولم يكن الخليل بِدْعا من اللغويين وما صنعه الخليل صفة غيره من أئمة اللّغة.

– ولقد قال ابن الطيب الفاسي: " ذهب إلى الاحتجاج بالحديث الشّريف جمع من أئمة اللّغة[1] منهم ابن مالك وابن هشام والجوهري وصاحب البديع والحريري وابن سيدة وابن فارس وابن خروف وابن جني وابن بري والسهيلي وغيرهم ممن يطول ذكره ".

ويمكن أن نقول أنّه لا يختلف موقف النحاة عن موقف اللغويين إذ لا يعقل أن يستشهد الخليل مثلا بالحديث في اللّغة ثمّ لا يستشهد به في النحو واللّغة والنحو صنوان يخرجان من أصل واحد وإن كانت شواهد النحاة من الحديث ليست في غزارة شواهد اللغويين وكثرتها فهي قليلة بالنسبة إليها وبخاصة عند النحاة القدماء.[2]

ب– موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبويّ:

الفئة الأولى: المجيزون

وهذه الفئة هي التي جوّزت الاستشهاد بالحديث مطلقا، وأكثرت من الاستشهاد به وعدّته مصدرا من مصادر النحو وفي طليعتها محمد بن مالك (ت672هـ)، ومن أبرز رجالها ابن خروف الذي سبق ابن مالك إلى هذا الأمر لأنّه أقدم زمنا منه، ونجم الدين محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي (ت686هـ) جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت761هـ) وبعض شرّاح الألفية مثل بدر بن الناظم وهو ابن صاحب الألفية، وبهاء الدين بن عقيل (ت769هـ)، وعلي بن محمد الأشموني (ت900هـ) وغيرهم من أصحاب الشروح والحواشي كالشيخ أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي (ت1197هـ)) والشيخ محمد بن مصطفى الخضري (ت1287هـ).[3]

---

[1] ليس كل من ذكرهم ابن الطيب هم من أهل اللّغة، بل فيهم نحاة كابن مالك و ابن هشام وغيرهما، و صنيعه هذا من قبيل التغليب .

[2] الحديث النبوي في النحو العربي، د محمود فجال. ص 101

[3] قضية الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في النحو العربي، عبد المحسن القيسي، مجلة الإسلام في آسيا، المجلد السابع، العدد 2، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ديسمبر 2010 0 0 85

ويستند هؤلاء إلى الإجماع على أنّه صلّى الله عليه وسلم أفصح العرب لهجة كما قال ابن حزم في كتاب الفصل مُنْكرا على من لم يجعلوا الحديث حجة في اللّغة [1]: " لقد كان محمد بن عبد الله – قبل أن يكرمه الله بالنبوة وأيام كان بمكة – أعلم بلغة قومه وأفصح، فكيف بعد أن اختصّه الله للنّذارة واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه ".

وذهب الكثير من النحويّين إلى الاحتجاج بكلام الرسول صلّى الله عليه وسلم والاستدلال بألفاظه وتراكيبه لإثبات القواعد النحوية بلا قيد أو شرط ودليلهم في ذلك:

الأول: قالوا إن الأحاديث أصحّ سندا مما يُنقل من أشعار العرب وأنّ أهل العلم قد شدّدوا في ضبط ألفاظه والتحرّي في نقله ولهذا الأصل تَحْصُل غلبة الظن بأنّ الحديث مروي بلفظه، وهذا الظنّ كاف في إثبات الألفاظ اللغوية وتقرير الأحكام النحوية، ويرى المجيزون أنّ كثيرا من المحدّثين والفقهاء والأصوليين قد ذهبوا إلى منع رواية الحديث بالمعنى.[2]

الثّاني: أنّهم لم يثيروا – أي القدماء – الإشكال الذي أثاره ابن الضائع وتلميذه أبو حيان ولو أنّهم لا يعدّون الحديث النبويّ موردا من موارد السّماع لنصّوا على ذلك في مصنّفاتهم كما فعلو في الاحتجاج بالقراءات القرآنية وبكلام العرب.

الثّالث: لا يوجد أحد منهم استثنى قسما من الحديث النبويّ من الاحتجاج به كما فعل المتوسطون.

الرابع: أنّه لا يخلو كتاب من كتبهم من الأحاديث النبويّة وهي على قلّتها تدحض مزاعم المانعين والمتوسطين وسأذكر هاهنا نموذج يؤكد ما أقوله :

فسيبويه مثلا قد عُثِر في كتابه الذائع الصّيت على عدد من الأحاديث النبويّة، لكنّه لم ينسب واحدا منها إلى الرسول صلّى الله عليه وسلم بل كان أسلوب إيراده لها لا يختلف عن أسلوب إيراده كلام العرب كقوله[3]: " وإما قولهم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3 ص 108

[2] أُنظر: دراسات في العربية و تاريخها، محمد الخضر حسين، المكتب الإسلامي و مكتبة د. الفتح، دمشق، ط.2 (081380 1960م) 0 1691

[3] الكتاب، سيبويه، ج 2 ص 393

هما اللذان يهودانه وينصرانه"" وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز.[1]

الفئة الثّانية: المانعون

ذهب جماعة من النحاة إلى أنّ الحديث لا يُستشهد به في اللّغة أي لا يستند إليه في إثبات ألفاظ اللّغة ولا في وضع قواعدها، ومن هذه الجماعة أبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي المعروف بابن الضائع (ت680هـ)) وأثير الدين محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان (ت750هـ)[2] ورأى أبو حيان أنّ هذا هو الذي عليه علماء العربية من المتقدمين والمتأخرين، فقال في شرح كتاب التسهيل: " إن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين والكسائي والفرّاء وعلي بن مبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك، أي لم يحتجوا بالحديث وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس".[3]

وقد منعت هذه الفئة الاستشهاد بالحديث النبويّ الشّريف لسببين هما:

السبب الأوّل:

أنّ الرّواة جوّزوا النقل بالمعنى فنجد قصة واحدة جرت في زمانه صلّى الله عليه وسلم لم تنقل بتلك الألفاظ جميعها نحو ما رُوي من قوله: « زوجتكها بما معك من القرآن »» أو « ملكتكها بما معك من القرآن »» أو « خذها بما معك من القرآن » والمعلوم أنّه صلّى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه.

فالمعنى هو المطلوب. ولاسيما مع تقادم السماع وعدم ضبطه بالكتابة والاتّكال على الحفظ والضابط منهم من ضبط المعنى وأمّا من ضبط اللفظ فبعيد جدّا لاسيما في الأحاديث الطوال وقد قال سفيان الثوري: " إن قلت لكم إنّي أحدثكم كما سمعت فلا

---

[1] إثبات الأحكام النحوية بالأحاديث النبوية، محمود حسن هنداوي، مجلة مركز بحوث و دراسات، المدينة المنورة، العدد 30 : " 181

[2] دراسات في العربية و تاريخها، محمد الخضر حسين، ص 168

[3] الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، قرأه وعلق عليه: محمود سليمان ياقوت، د. المعرفة الجامعية، (1426هـ - 2006) 6 0 90

تصدّقوني فإنّما هو المعنى "" ومن نظر في علم الحديث أدنى نظر عَلِم عِلْم اليقين أنّهم يروون المعنى دون اللفظ.

السبب الثّاني:

أنّه وقع اللحن كثيرا فيما رُوي من الحديث. لأنّ كثيرا من الرّواة كانوا غير عرب بالطبع وتعلّموا لسان العرب بصناعة النحو فوقع اللحن في كلامهم، وهم لا يعلمون ذلك وقد وقع في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب ونعلم يقينا من غير شك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان أفصح النّاس فلم يكن ليتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها.[1]

الفئة الثّالثة: المتوسطون بين المنع والجواز

وذهب هذا المذهب كلّ من أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبيُّ المتوفي سنة (790هـ)) وتبعه في هذا كذلك جلال الدين السيوطي المتوفي سنة (911هـ).

أما الشاطبيُّ في كتابه المقاصد الشافية فنجده في بداية كلامه وكأنّه يوافق رأي المانعين فيقول: " لم نجد أحدا من النحويين اسْتَشْهد بِحَدِيث رَسُول الله وهم يستشهدون بِكَلَام أجلاف الْعَرَب وسفهائهم الَّذين يَبُولُونَ على أَعْقَابهم وأشعارهم الَّتِي فِيهَا الْفُحْش والخنى وتركوا ما نقل من الأحاديث لاحتمال إخراج الراوي لفظ الحديث عن القياس العربي".[2]

ثمّ يستدرك فيرى أنّ هناك من الأحاديث ما يستشهد بها وأخرى فلا ويقول:

" وَأمّا الحَدِيث فعلى قسمَيْنِ قسم يعتني ناقله بِمَعْنَاهُ دون لَفظه فَهَذَا لم يَقع بِهِ استشهاد أهل اللّسَان وَقسم عرف اعتناء ناقله بِلَفْظِهِ لمقصود خَاص كالأحاديث الَّتِي قصد بهَا بَيَان فصاحته، ككتابه لهمدان وَكتابه لِوَائِل بن حجر والأمثال النَّبَوِيَّة فَهَذَا يَصحّ الاستشهاد بِهِ فِي الْعَرَبيَّة ".[3]

---

[1] قضية الاستشهاد بالحديث النبوي في النحو العربي، عبد المحسن القيسي، ص292 93

[2] المقاصد الشافية، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت. عياد بن عيد الثّبيتي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث العربي، مكة المكرمة، ط.1. (1428هـ – 2007م) 3 ص401(402

[3] نفسه، ج3 ص 403

وفي الأخير يناقش ابنَ مالك في مسألة الاستدلال بالأحاديث النبويّة مطلقا ويقول: " وَابْن مَالك لم يفصّل هَذَا التَّفْصِيل الضَّرُورِيّ الَّذِي لَا بُد مِنْهُ وَبنى الْكَلَام على الحَدِيث مُطلقًا وَلَا أعرف لَهُ سلفا إِلَّا ابْن خروف فإنّه أَتَى بِأَحَادِيث فِي بعض الْمسَائِل حَتَّى قَالَ ابْن الضائع: " لَا أعرف هَل يَأْتِي بهَا مستدلا بهَا أم هِيَ لمُجَرّد التَّمْثِيل"" وَالْحق أنّ ابْن مَالك غير مُصِيب فِي هَذَا فكأنّه بناه على امْتنَاع نقل الحَدِيث بِالْمَعْنَى وهو قَول ضَعِيف " [1].

أما السيوطي فقد كان متردّدا بين الجواز والمنع وذلك بشروط، يقول السيوطي في هذا: " وَأمّا كَلَامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيستدل مِنْهُ بِمَا ثبت أنّه قَالَه على اللَّفْظ الْمَرْوِيّ وَذَلِكَ نَادر جدا إِنَّمَا يُوجد فِي الْأَحَادِيث الْقصار على قلَّة أَيْضا فإن غَالب الْأَحَادِيث مَرْوِيّ بِالْمَعْنَى وَقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووْها بِمَا أدَّت إِلَيْهِ عباراتهم فزادوا ونقصوا وَقدمُوا وأخروا وأبدلوا ألفاظا بِأَلْفَاظ وَلِهَذَا ترى الحَدِيث الْوَاحِد فِي الْقصَّة الْوَاحِدَة مرويا على أوجه شَتَّى بعبارات مُخْتَلفَة وَمن ثمّ أُنكرَ على ابْن مَالك إِثْبَاته الْقَوَاعِد النحوية بالألفاظ الْوَارِدَة فِي الحَدِيث.[2]

ثمّ نقل كَلَام ابْن الضائع وَأبي حَيَّان وَقَالَ مِمَّا يدل على صِحَة مَا ذَهَبا إِلَيْهِ أنّ ابْن مَالك اسْتشْهد على لُغَة أكلوني البراغيث بِحَدِيث الصَّحِيحَيْنِ « يتعاقبون فِيكُم مَلَائِكَة بِاللَّيْلِ وملائكة بِالنَّهَارِ »» وَأكثر من ذَلِك حَتَّى صَار يسميها لُغَة يتعاقبون وَقد اسْتشْهد بِهِ السُّهيْلي ثمّ قَالَ لكنّي أَنا أَقُول: " أنّ الْوَاو فِيهِ عَلامَة إِضْمَار لأنّه حَدِيث مُخْتَصر رَوَاهُ الْبَزَّار مطولا "" فَقَالَ فِيهِ « أنّ لله تَعَالَى مَلَائِكَة يتعاقبون فِيكُم مَلَائِكَة بِاللَّيْلِ وملائكة بِالنَّهَارِ» وَقَالَ ابْن الْأَنْبَارِي فِي الْإِنْصَاف فِي منع أن فِي خبر كَاد: " وَأما حَدِيث كَاد الْفقر أن يكون كفرا فإنّه من تَغْيِير الرواة لأنّه أفصح من نطق بالضاد ".[3]

وقد قرر مجمع اللّغة العربية في القاهرة اعتمادا على بحث قدَّمه إليه عضو المجمع الشيخ محمد الخضر حسين حول الاستشهاد بالحديث ما يلي:

---

[1] المصدر السابق، ج3 ص 404.

[2] الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، ص 89

[3] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، ت.وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. 4. (1418هـ - 1997م) 7 9 313 14

اختلف علماء العربية في الاحتجاج بالأحاديث النبويّة لجواز روايتها بالمعنى ولكثرة الأعاجم، وقد رأى المجمع الاحتجاج ببعضها في أحوال خاصة مبينة فيما يأتي:

الأول: لا يحتج في العربية بحديثٍ لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول كالكتب الصحاح الستة فما قبلها.

الثّاني: يحتج بالحديث المدوّن في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي:

1- الأحاديث المتواترة المشهورة.

2- الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

3- الأحاديث التي تُعَدُّ من جوامع الكلم.

4- كتب النبي صلّى الله عليه وسلم.

5- الأحاديث المروية لبيان أنّه صلّى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قومٍ بلغتهم.

6- الأحاديث التي عرف من حال رواتها أنّهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى.

7- الأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة.[1]

[1] مجموعة القرارات العلمية، مجمع اللّغة العربية في خمسين عامًا (1934 – 1984)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية (1404هـ – 1984م) 4 9 5

المبحث السادس:

الردّ على دعاوي المانعين للاستشهاد بالحديث النبويّ

أ- دعوى رواية الحديث بالمعنى:

وتُردّ هذه الدعوى بالأدلة التالية :

1- إن رواية الحديث بالمعنى لَمْ يُجَوِّزْهُ بعضُ المحدِّثِينَ، وطَائفَةٌ مِنَ الفُقَهَاءِ والأُصُولِيِّيْنَ مِنَ الشَّافِعِيَّينَ وغَيْرِهِمْ- ومَنَعَهُ بَعضُهُمْ في حديثِ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلم وأَجَازَهُ في غيرِهِ[1] ومن هؤلاء عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقد كان مذهبه رواية الحديث باللفظ1 وكذلك هو مذهب محمد بن سيرين بالبصرة والقاسم بن محمد بالحجاز ورجاء بن حيوة بالشام وقال القرطبي: " وهو الصحيح من مذهب مالك، ومذهب ثعلب واختيار الجصاص من الحنفيين "[2]، فعبد الله بن عمر كان لا يقبل تقديم كلمة على أخرى ففي رواه مسلم عن عبد الله بن عمر2 عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ»، فَقَالَ : الْحَجُّ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ: « لَا، صِيَامُ رَمَضَانَ، وَالْحَجُّ » هَكَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[3]

2- وأما القول بتعدد رواية القصة الواحدة فالردّ عليه بأنّ ورود القصة الواحدة بالعبارات المختلفة صحيح وموجود في كثير من الأحاديث فقد كان النبي صلّى الله عليه وسلم يعيد الكلام المرّتين وأكثر لقصد البيان وإزالة الإبهام، وقد ورد أنّه عليه الصلاة والسلام كان من عادته تكرار الكلام ثلاث مرات، وقد وضع البخاري بابا أسماه: باب من أعاد الأحاديث ثلاثا ليفهم منه.[4]

---

[1] مقدمة ابن الصلاح، ابن الصلاح، ت. عبد اللطيف الهميم، ماهر ياسين الفحل، د. الكتب العلمية، ط.1. (1423هـ - 2002م)(ص 322

[2] الحديث النبوي في النحو العربي، محمود فجال، ص 64

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج1 ص 176

[4] موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي، خديجة الحديثي، ص 24 25

ب- دعوى اللحن والخطأ:

ذهب بعض النحاة إلى أنّ من الأسباب التي تدفعهم إلى عدم الاحتجاج بالحديث الشّريف في المسائل النحوية وقوع الخطأ واللحن فيه، وأنّ معظم رُوّاته من الأعاجم، وهذه الدعوى ينبغي ألا تكون مانعاً للاحتجاج النحوي بالحديث للأمور التالية:

1 – لقد بذل العلماء المسلمون جهوداً عظيمة في سبيل حفظ الحديث الشّريف، وبحثوا في ما يتعلق به رِوَايةً وَدِرَايةً، وخطوا خطوات جليلة كفلت سلامةَ السُّنَّةِ من العَبَث، ولعل من أهمها التزام الإسناد، ودراسةُ حياة الرواة وتاريخهم، وهكذا نشأ علم الجَرْحِ والتعديل، الذي وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين، وأُلّفت في الرواة مصنفات ضخمة، حتى أنّه لم يعد يختلط الكَذَّابون والضعفاء بالعدول الثقات، وأصبح من السهل جداً أن يميزوا بين الخبيث والطَّيِّب في كل عصر، فقدّموا للحضارة الإنسانية أعظمَ إنتاج في هذا المضمار، يفخر به المسلمون أبدَ الدهر، يقول المستشرق الألماني شبرنجر (springer) في تصدير كتاب (الإصابة لابن حجر): " لم تكن فيما مضى أمّةٌ من الأمم السالفة، كما أنّه لا توجد الآن أمّة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم(الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم ".[1]

2- إن الكثير مما اعتبره المانعون أنّه لحن أو خطأ ظهر له وجه من الصّحة وقد ألّف في هذا الباب ابن مالك كتابه (التوضيح في حل مشكلات الجامع الصحيح)، وذكر للأحاديث التي يشكل إعرابها وجوها يستبين بها أنّها من قبيل العربي الصحيح) وكثيرا ما نرى ألفاظا من الحديث ينكرها بعض اللغويين، فيأتي لغوي آخر فيذكر لها وجها مقبولا أو يسوق عليها شاهدا صحيحا.[2]

3- وادعاء البعض من اللّغويين أنّ الكثير من الذين رووا الحديث النبويّ كانوا غير عرب، لا يمكن الاعتماد عليه كحجة لرفض الاحتجاج بالحديث النبوي، وذلك للأسباب التالية:

---

[1] الاحتجاج بالحديث النبوي عند الإمام بدر الدين العيني، محمد عبد القادر هنادي، مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة، العدد الثامن، ص 179 180

[2] دراسات في العربية و تاريخها، محمد الخضر حسين ص 176

الأول: إن ما وقع من لحن أو خطأ أو تصحيف في حديث الرسول صلّى الله عليه وسلم قليل نادر، بَيَّنَهُ علماء الحديث.

الثّاني: الزعم بكون بعض رُوّاة الحديث من غير العرب قد أدّى إلى وقوع اللحن فيه، يمكن الرد عليه ؛ بأنّ اللّغة العربية ملْكٌ لمن يتعلمها فيتقنها، فإن أتقنها فليس هناك فرق بينه وبين العربي سوى النسب، والنسب لا أثر له في اللسان، كذلك فإن هؤلاء المسلمين الأعاجم من رواة الحديث كانوا أمراء المؤمنين في الحديث، وقد وُصِفُوا بالضبط والدّقة، وحملوا الحديث على أكمل وجه، وأدَّوه كما حملوه، فهذا هو الإمام البخاري محمد بن إسماعيل – رحمه الله – (ت 256هـ) أثنى عليه العلماء المسلمون ثنًاء عظيمًا، وقال عنه ابن خزيمة: " ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث الرسول صلّى الله عليه وسلم من محمد بن إسماعيل "، وقد أوتي – رحمه الله – حافظة عجيبة قلّما نجد نظيراً لها عند العلماء.[1]

ج- دعوى تدوين الحديث بعد فساد اللّغة:

لقد رأينا في مبحث تدوين الحديث النبويّ ما اشتهر في الكتب وساد لعدّة قرون بأنّ فكرة عدم تدوين الحديث النبويّ الشّريف في عصر النبي صلّى الله عليه وسلم غير صحيحة، وإنّما الصحيح هو ما نبّه إليه الخطيب البغدادي في كتابه التقييد، وحوله أورد الكثير من الأحاديث التي لا تترك مجالا للشك في أنّ الأحاديث دُوِّنت في عصر النبي صلّى الله عليه وسلم.

وتطرقنا كذلك في نفس المبحث، للأدلة على تدوين الحديث في عصر الصحابة والتابعين، وكل هذا الذي ذكرناه يردّ دعوى تدوين الحديث بعد فساد اللّغة.

ويتبين مما سبق ذكره أنّ الأسباب التي ذكرها بعض النحاة في عدم احتجاجهم بالحديث النبويّ في المسائل النحوية أسبابٌ واهية، والصحيح أنّ الحديث النبويّ هو الأصل الثّاني بعد القرآن الكريم في تقعيد القواعد النحوية والصرفية، وهذا ما ينبغي أن يسلكه الباحثون المعاصرون، لاسيما وكتب الحديث التي تضم مئاتٍ من أحاديثه صلّى الله عليه وسلم بين أيدينا، وفي مقدمتها صحيح البخاري ومسلم رضي الله عنهما.[2]

---

[1] الاحتجاج بالحديث النبوي عند الإمام بدر الدين العيني، محمد عبد القادر هنادي، ص 180 181

[2] . نفسه، ص 183

المبحث السابع:

الأحاديث النبويّة في كتب الأوائل:

هناك إحصائية للدكتور حاتم صالح الضّامن في كتابه (الاستشهاد بالحديث في اللّغة والنحو) أحصى فيها الأحاديث النبويّة الموجودة في كتب اللّغة النحو ننقلها كاملة:

– أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ): احتج بثلاثة أحاديث وكلها في الصرف، ولمّا كان الصرف يعتمد على التغيّرات التي تطرأ على لفظ الكلمة(فهو يبحث في أصل بناء الكلمة وما يطرأ عليها من تغيير بالاشتقاق والتصريف فهو قسيم النحو ومكمّل له من زيادة أو حذف أو إعلال أو إبدال أو إدغام أو نحو ذلك من التغييرات، والنحو يدرس ما يطرأ عليها من تغييرات بعد التركيب تبيّن موقعها الإعرابي من حيث المعنى الوظيفي المقصود بها في الجملة فكلاهما تغيير يطرأ على لفظ الكلمة.

– الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ): استشهد بأربعة أحاديث في الصرف والأبنية وبكثير من الأحاديث في كتابه العين.

– سيبويه (ت180هـ): استشهد بتسعة أحاديث في كتابه المشهور(ومن الغريب أن يقصر علي النجدي ناصف في كتابه (سيبويه إمام النحاة) شواهد سيبويه على القرآن والأشعار والأرجاز فقط(وتابعه في ذلك الدكتور أحمد بدوي في كتابه (سيبويه حياته وكتابه)) ومن اللاّفت للنظر أنّ قسما من الباحثين أكّدوا أنّ سيبويه لم يحتج بالحديث ومن هؤلاء الدكتور حسن عون والدكتور شوقي ضيف والدكتور محمد عيد.

– الفراء (ت208هـ): استشهد بالحديث في كتابه معاني القرآن في ثمّانية وستين موضعا.

ومن الغريب أن نسمع الدكتورة خديجة الحديثي تقول في كتابها (موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبويّ): " والخلاصة التي نوضّحها في هذا أنّ الفرّاء مع اشتهاره بأنّه من المحتجين بالحديث النبويّ وأنّه أول من احتج لم نستطع أن نجد في كتابيه (المذكر والمؤنث، ومعاني القرآن) الذين في أيدينا أحاديث أكثر مما وجدنا في كتاب سيبويه(لا بل أنّ الوارد عند سيبويه من الحديث النبويّ الشّريف أكثر مما ورد عند الفراء، الذي كثر عنده الاحتجاج بالآثار وكلام آل البيت".

وأشير هنا إلى أنّ الأحاديث التي جاءت في معاني القرآن والتي أشرنا إليها أعلاه تمثّل خمسة وثلاثين من أحاديث النبي صلّى الله عليه وسلم القولية وثلاثة وثلاثين من الأحاديث الفعلية ولم نر لآل البيت فيها شيئا.

– أبو حاتم السجستاني (ت255هـ): احتج بخمسة عشر حديثا في كتابه المذكر والمؤنث وبأربعة عشر حديثا في كتابه النخلة.[1]

– ابن قتيبة (276هـ): احتج في كتابه (أدب الكاتب) بتسعة وعشرين حديثا وبثمّانية آثار وفي هذا ردّ على الدكتورة خديجة الحديثي في قولها: " لم أجد لديه في كتابه أدب الكاتب سوى حديث واحد احتج به الفراء "، وقالت: " ومع أنّ ابن قتيبة قد عقد في كتابه أدب الكاتب أبوابا في النحو والصرف إلّا أنّه لم يحتج فيها إلا بالقرآن والشعر ولم يحتج فيها بأيّ حديث، لا بحديث نبوي ولا بحديث لأحد الصحابة أو آل البيت وهذا يدل على أنّه لم يكن يرى الاحتجاج بالحديث النبويّ في النحو والصرف.

– المبرّد (ت285هـ): احتج بالحديث في اللّغة والنحو والصرف في مائة وتسعة وأربعين موضعا في كتابه الكامل وبثلاثة عشر موضعا في النحو والصرف.

– ثعلب (ت291هـ): استشهد بخمسة عشر حديثا في شرحه لديوان عدي بن الرقاع العاملي(وبأحاديث كثيرة في مجالسه.

– كراع النمل الهنائي (ت310هـ): استشهد بتسعة أحاديث في كتابه المنتخب من غريب كلام العرب.

– الزجاج (ت311هـ): استشهد بأحاديث كثيرة في كتابه معاني القرآن وإعرابه.

– ابن السراج (ت316هـ): استشهد بستة أحاديث في كتابه الأصول في النحو.

– ابن دريد (ت321هـ): استشهد بخمسمائة وثمّانية حديث في (جمهرة اللّغة) وبواحد وتسعين حديث في كتابه (الاشتقاق).

– ابن الأنباري (ت328هـ): احتج كثيرا بالحديث النبويّ وبأحاديث الصحابة في اللّغة والنحو وعلى سبيل المثال لا الحصر استشهد بثلاثمّائة وخمسة وعشرين حديثًا في كتابه (الزاهر)) وبواحد وخمسين حديثًا في كتابه (الأضداد).

---

[1] الاستشهاد بالحديث في اللّغة و النحو، د حاتم صالح الضامن، عن مركز جمعية الماجد للثقافة و التراث، دبي 2002 ص 404 05

– الزجاجي (ت337هـ): استشهد بالحديث النبويّ وبأحاديث الصحابة فثمّة أربعة أحاديث في كتابه (اللّامات) وحديثان في كتابه (الجمل في النحو).

– النحاس (ت338هـ): استشهد كثيرا بالحديث في كتابه (إعراب القرآن) فثمّة مائة وسبعة وستون حديث في هذا الكتاب فقط.

– ابن درستويه (ت347هـ): استشهد باثني عشر حديثا في كتابه (تصحيح الفصيح).

– المؤدب القاسم بن محمد كان حيا سنة (338هـ): استشهد بأربعة وعشرين حديثا في كتابه (دقائق التصريف).

– ابن خالويه (ت370هـ): استشهد بمائة وثمّانين حديثا في كتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم).

– الأزهري (ت370هـ): استشهد بمئات الأحاديث في كتابه (تهذيب اللّغة).[1]

– أبو علي الفارسي (ت377هـ): احتج بالحديث النبويّ في مواضع من كتبه الكثيرة فعلى سبيل المثال لا الحصر: استشهد بسبعة أحاديث في كتابه (شرح الأبيات المشكلة الإعراب) وبخمسة أحاديث وفي كتابه (الإغفال) وهي المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج، وبخمسة أحاديث في كتابه (المسائل الشيرازيات)) وبخمسة أحاديث في كتابه (المسائل البصريات).

– أبو بكر الزبيدي(ت379هـ): احتج بتسعة وأربعين حديثا في كتابيه (في لحن العامة) و (التهذيب بمحكم الترتيب).

– أبو أحمد العسكري (ت382هـ): احتج بحديثين في كتابه (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف).

– ابن جني (ت392هـ): استشهد بأحاديث كثيرة في كتابيه (الخصائص والمحتسب).

– ابن فارس (ت395هـ): استشهد بتسعة وعشرين حديثا في كتابه (الصاحبي) وبكثير من الأحاديث في كتابه (مقاييس اللّغة) وسبعة وعشرين وأربعمائة في كتابه (مجمل اللّغة).

– الصيمري توفي آخر القرن الرابع الهجري: استشهد بثلاثة أحاديث في كتابه (التبصرة والتذكرة).

---

[1] المصدر السابق ص 06 07

– عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ): استشهد بخمسة عشر حديثا في كتابه (دلائل الإعجاز).

– الأعلم الشنتمري (ت476هـ): استشهد بأربعة أحاديث في كتابه (النكت في تفسير كتاب سيبويه).

– أبو البركات الأنباري (ت577هـ): استشهد بستة أحاديث في كتابه (منثور الفوائد) وبأحاديث كثيرة في كتابه (الإنصاف).

– السهيلي (ت581هـ): استشهد باثنين وأربعين حديثا في كتابه (نتائج الفكر).[1]

[1] المصدر السابق، ص 808 09

الفصل الثّالث

دراسة تداولية للتنوعات اللّهجية في مفردات الحديث النبويّ :

المبحث الأول: مدخل الى التداولية
المبحث الثّاني: مفردة مَهْيَم
المبحث الثّالث: مفردة تُعَنِّكيها
المبحث الرابع: مفردة أُنط ومفردة التّساخين
المبحث الخامس : مفردة لُكَع
المبحث السادس: مفردة تَسْتَأنِسوا
المبحث السابع: مفردة رَاحَ
المبحث الثامن: مفردة أدْفوه
المبحث التاسع: مفردة الثِّلب
المبحث العاشر: مفردة المُدْية
المبحث الحادي عشر: جدول إحصائي ومخطّط دائري

المبحث الأول:

مدخل إلى التداولية

إن دراسة المفردات المعجمية في إطار سياقاتها اللغوية و المقامية؛ من أحاديث نبوية شريفة وكذا أشعار و أمثال عربية، دراسة تداولية، تحتاج للكثير من التوطئة و التفسير، وذلك لحداثة هذا المنهج، فهو يستحق أن يجعل له فصلا كاملا ولكن لعدم اتساع الوقت و محاولة تجنب الإطالة للجانب النظري، وكذلك لأن هذا الفصل إنما هو فصل تطبيقي، اكتفينا بهذا المدخل المختصر جدا، وأخذنا من الجانب النظري للتداولية ما نحتاج إليه فقط في دراستنا التطبيقية.

أ) تعريف التداولية:

أ- 1 لغة:

جاء في كتاب مقاييس اللغة: مادة دول؛ الدال و الواو و اللام أصلان؛ أحدهما يدل على تحوّل شيء من مكان إلى مكان، و الآخر يدلّ على ضعف واسترخاء.

أمّا الأول فقال أهل اللغة:" اندال القوم إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان، و من هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم إذا صار من بعضهم إلى بعض".[1]

أمّا في معجم اللغة العربية المعاصرة: تداول في يتداول تداولا فهو مُتداوِل و المفعول مُتداوَل، تداولوا الشيء أي تبادلوه، أخذه هؤلاء مرة و أولئك مرة.

تداولوا المُلك، تداولته الأيدي: تعاقبته، تداول النقد: انتقاله من يد إلى يد في البيع و الشراء.[2]

أ- 2 اصطلاحا:

التداولية أو التداوليات مصطلح مركب من مورفمين : الأول التداول من الفعل تداول، وهي من صيغة تفاعل و التي تحمل معنى المشاركة، و الثاني اللاحقة (يات) و التي تشير الى البعد المنهجي و العلمي، والتداولية علم يتصل بالظاهرة اللسانية، و من هذه الزاوية المعرفية فهو علم حديث، غير أن البحث فيه قديم إذ تشير المصادر إلى أن كلمة

---

[1] معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس، ت. عبد السلام هارون، د. الفكر، (1399هـ - 1979م) 2ص 314.

[2] معجم اللغة العربية المعاصرة، د احمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط.1(2008 4 13 4 7873.

تداولية يقابلها مصطلح (pragmatique)((pragmaticus) اليونانية، التي تعني الغرض العلمي حيث استخدمها فلاسفة اليونان منذ العهود الأولى للدلالة العلمية.[1]

و التداولية هي دراسة استعمال اللغة، فهي تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاما محددا، صادرا عن متكلم محدد، وموجها إلى مخاطب محدد، بلفظ محدد، في مقام تواصلي محدد، لتحقيق غرض تواصلي محدد، فالتداولية إذن تدرس اللغة في حيز الاستعمال متجاوزة المعنى الوضعي للمفردة إلى معنى آخر تكتسبه من السياق بنوعيه اللغوي و الحالي (المقامي)[2].

خذ مثلا كلمة (شكرا) في لسان العرب لابن منظور: الشكر عرفان الإحسان ونشره، وهو الشكور أيضا، قال ثعلب : " الشكر لا يكون إلا عن يد ، و الحمد يكون عن يد و عن غير يد ، فهذا الفرق بينهما و الشكر من الله المجازاة و الثناء الجميل، شكره و شكر له و يشكر شكرا و شكورا و شكرانا "، وفي استعمالاتنا اليومية تتجاوز الكلمة مجرد العرفان بالإحسان و نشره، فتنشأ عنها معان جديدة، ودلالات تتجاوز حدودها المعجمية الضّيقة مهما اتسعت، فربما أوحت بالرفض أو التهكم أو الضيق.[3]

ويجب أن نشير إلى أن مصطلح التداولية قد ارتبط باتجاهين مختلفين:

الأول: يهتم بالجانب الاستعمالي للغة في السياقات المختلفة فيحاول تجاوز الطرح المتوارث للبنية اللغوية من أجل الكشف عن الوظيفة الإنجازية للغة.

الثاني: منطلقه فلسفي يحاول بحث القضايا المعرفية من خلال آثارها العملية.[4]

---

[1] التداولية، سحالية عبد الحكيم، مجلة مخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، العدد5، مارس 2009 88.

[2] التداولية و المجاز دراسة ابستيمولوجية، د حسين عودة هاشم، مجلة آداب ذي قار، العدد5، المجلد2،جامعة البصرة، شباط 2012 264.

[3] تبسيط التداولية، بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر و التوزيع، القاهرة، ط.1 2010 4 182.

[4] المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، د عبد الحليم بن عيسى، مجلة دراسات أدبية، العدد1، الجزائر، ماي 82008 ص10.

ب) أنواع التداولية:

و ذكر محمود نحلة أربعة أنواع للتداولية هي:

ب- 1 التداولية الاجتماعية: و تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.

ب- 2 التداولية اللغوية: و تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية، و هي بذلك تنطلق من اتجاه مقابل للتداولية الاجتماعية، فإذا كانت هذه تنطلق من السياق الاجتماعي إلى التركيب اللغوي، فإن تلك تنطلق من التركيب اللغوي إلى السياق الاجتماعي.

ب- 3 التداولية التطبيقية: و هي تُعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة، وبخاصة حين يكون للاتصال في موقف بعينه نتائج خطيرة كجلسات المحاكمة.

ب- 4 التداولية العامة: و تُعنى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالا تواصليا.[1]

ج) السّياق و التداولية :

يعد السّياق أحد أهم المرتكزات التي تستند عليها اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء الاستعمال، فهو أداة إجرائية بدأ الاهتمام بها و التنظير لها منذ القدم، ثم عمّق البحث فيه علماء اللسانيات الاجتماعية و اللسانيات التداولية، فأخذ مسارا أعمق في التحلي الاجتماعي و النفسي و الثقافي، و للسياق مجالات معرفية متعددة تتوزع عبر فضاءات معرفية كثيرة منها ما هو مرتبط بالمتكلم و المتلقي و شروط الإنتاج اللغوي والزمان و المكان .... و غيرها.[2]

و السياق نوعان سياق لغوي وسياق مقامي:

أما الأول: فيتعلق بالجانب التركيبي للغة من حيث تحديد معنى الوحدات اللغوية انطلاقا مما قبلها وما بعدها، وهذا المعنى أشار إليه جون ديبوا في قاموس اللسانيات و علوم اللسان، ويقول: " نسمي السياق أو السياق اللغوي مجموعة النصوص التي فيها تتموضع (تحدد)

---

[1] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002 15

[2] السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم متابعة تداولية، باديس لهويمل، مجلة أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، العدد 9، بسكرة، 2013 3 0 165

وحدة لغوية معينة، أي العناصر التي تسبق و التي تلحق هذه الوحدة (محيطها)، أي أنه مجموع العلاقات الداخلية التي تتحكم في دلالة النص و تمنح وحداته معناها السياقي ".

في حين يُقصد بالسياق المقامي عند جون ديبوا مجموع الشروط الطبيعية و الاجتماعية والثقافية التي يتحدد بها ملفوظ أو خطاب، إنّها المعطيات المشتركة للمرسِل و المتلقي حول الحالة الثقافية النفسية و الخبرات والمعارف لكل واحد منها.[1]

و استنادا لهذا السياق بنوعيه المقالي و المقامي ينطلق المتلقي في كشف قصد المتلفظ بالخطاب حيث تشكل أدوات النص اللغوي وخواصه التركيبية إضافة لما يكتنف النص من أحوال، قرائن مساعدة في كشف الأغراض التواصلية للكلام، فالمتلقي يستند إلى معطيات السياق و المقام في بحثه عن قصد القائل (المتكلم).[2]

د) المفردة في الاستعمال والتداول:

على أن الكلمة إذ تدخل التركيب النحوي تدخله و هي محملة ببعد تاريخها الدلالي الثري الذي اكتسبته من طويل تجربتها القولية، بدخولها سياقات استعمال كثيرة مختلفة ، أو خروجها منها وذلك الدخول و الخروج المستمران يكسبانها صفتين اثنتين مختلفتين؛ تتمثل الأولى في كون الكلمة أقل من الجملة فهي من أجل ذلك في حاجة إلى أن تعمل في غيرها، أو يعمل غيرها فيها، لتتولد عن ذلك البنية النحوية العامة التي تعطي للكلمة دلالتها فيها، و تتمثل الصفة الثانية في كون الكلمة أكبر من الجملة من حيث أنها تضفي عليها معاني استمدتها من تاريخ استعمالها الطويل في جمل أخرى اضمحلّت و تلاشت، و بقيت تلك الكلمة تدور في عالم خطاب مستعمليها مُحمّلة بالدلالات التي غنمتها من استعمالات في تلك الجمل، وهو ما يلخّصه بول ريكور في قوله : " الكلمة أقل من الجملة من حيث أن تَحَقُّق دلالتها وَقْف على تَحَقُّق دلالة الجملة، لكنّها من زاوية نظر أخرى أكثر من الجملة ذلك أن الجملة لما كانت حدثا (Ev nement) كان وجودها عُرْضة للتحول و الزوال و التلاشي، أمّا الكلمة فإنها تظل قائمة بعد أن تضمحل الجملة فالكلمة من حيث أنها وحدة قابلة للانتقال تبقى إذ يضمحل كيان الخطاب، و تظل قابلة للدخول في استعمالات جديدة،

---

[1] المصدر السابق، ص 166

[2] نفسه، ص 168

و هكذا تعود إلى المنظومة محمّلة بقيمة استعمال جديدة، و إن كانت ضئيلة، و هي إذ تعود إليها تجعل لها تاريخا.

وغير بعيد عن هذا الرأي قول باختين في دلالة الكلمة التي تأتيها من التداول و الاستعمال إذ يقول : " و إن الكلمات التي نستخدمها تكون دائما قد استخدمت من قبل، و هي تحمل في ذاتها بقايا استخداماتها السابقة "، فالكلمة من زاوية نظر ريكور و باختين في علاقة جدلية مع السياق الذي يحملها تأخذ منه دلالتها على صعيد آني، و تضفي عليه من دلالتها على صعيد زماني.

إن الخطاب يرمي دائما إلى تغيير أوضاع المتلقين الذين يوجه إليهم وهو باستخدامه الكلمة ذات الخصائص التقويمية و الاقتضائية القائمة في اللغة، و ذات الدلالات المضافة القادمة من الاستعمال، يكون ذا فاعلية أكبر في تغيير أوضاع المتلقين تلك، كما إن الخطاب إذ يعمد إلى اختيار كلمة دون أخرى مما يرادفها أو يظن أنه يرادفها، إنّما يرمي إلى مزيد التأثير في ذهن المتلقين على أساس أن الكلمة المختارة أعلق بعالم خطابهم، و أمضى أثرا فيه، بما لها من زوائد معنوية جاءتها من اللغة أو من الاستعمال أو منهما معا.[1]

كيفية الدراسة:

وفي هذا الفصل وضعت دراسة تطبيقية تداولية لبعض المفردات التي وُجدت في أحاديث النبي صلّى الله عليه وسلم، وتنتمي إلى لهجات عربية، وكانت خطتي فيه أن أذكر المعنى المعجمي للمفردة ثمّ آتي بالسياقات والاستعمالات اللغوية لهذه المفردة وأوضح المعاني والدلالات المقصودة في كل سياق أورده، وأنهي بخلاصة أحاول إيجاد العلاقة بين الدلالات التي قصدها النبي صلّى الله عليه وسلم، والمعنى المتداول في الاستعمالات اللغوية الأخرى من شعر وخطب وأمثال عربية، وفي آخر هذا الفصل جعلت جدولا إحصائيا للمفردات المدروسة، ويقابل كلّ مفردة معناها في الاستعمال النبويّ وانتماؤها اللّهجي ثمّ معناها الموجود في اللّهجات الأخرى إن وجد، وبناء على هذا الجدول وضعت مخططا دائريا ثلاثي الأبعاد للنسبة المئوية للهجات العربية في مفردات الحديث النبويّ، وختمت هذا كله بخلاصة.

[1] الحجاج في القرآن، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1F2001 ص74 72.

المبحث الثاني:

مفردة مَهْيَم

وأصل هذه الكلمة يمانية وذلك لما وجدناه مذكورا في كتب غريب الحديث، من خلال كلام كُلّا من أبي عبيد القاسم بن سلام، وجار الله الزمخشري بقولهما:

مَهْيَم (وهي) [1] كلمة يمانية [2]

أ- المعنى المعجمي:

جاءت هذه المفردة في كتب معاجم اللّغة بمعنى واحد وهو الاستفهام:

أي ما حالك وماشأنك ؟ أو ماوراءك ؟ أو أحدث لك شيء ؟ [3]

وفي لسان العرب: أي ما أمركم وشأنكم؟[4]

ب- سياقات ورودها:

وقد وردت هذه المفردة في الحديث النبويّ الشّريف عدّة مرّات:

1 – منها حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: " أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ "، قَالَ: " بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ4" 2مَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَثْنَا يَسِيرًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَهْيَمْ؟ »، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: « مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟ »

---

[1] عبارة (وهي) غير موجودة في كلام أبي عبيد القاسم بن سلام

[2] اُنظر: الفائق في غريب الحديث و الأثر، الزمخشري، ت. علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، د. المعرفة، لبنان، ط.2 4 ص 65

و كذلك اُنظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمّانية، حيدر أباد، الدكن، ط.1. 1964 : 2 ص 191

[3] القاموس المحيط، الفيروزآبادى، ت.مكتب ت. التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط. : الثامنة، (1426هـ – 2005م)(ج1 ص1161

[4] لسان العرب، ابن منظور، ج 12 ص 566

قَالَ: " نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، أو وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ " قَالَ: «أَوْلِمْ وَلَوبِشَاةٍ ".[1]

وفي هذا الحديث الشّريف تزوّج عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه دون علم النبي صلّى الله عليه وسلم، وعندما التقى بالنبي عليه السلام كان ظاهرا عليه علامات وأثر الطيب، فتعجب النبي صلّى الله عليه وسلم وقال له: « مَهْيَم ؟ »» بمعنى ما شأنك ؟ فردّ عليه عبد الرحمان بن عوف بأنّه قد تزوّج.

2 – عن أَسْمَاء بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّ مُعَاذٍ قَالَتْ: " أَتَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَنّ قَبْلَ خُرُوجِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ أو سَنَةً تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَ قَطْرِهَا، وَتُمْسِكُ الأرض ثُلُثَ نَبَاتِهَا، وَالسَّنَةَ الثَّانِيَةَ تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَيَّ قَطْرِهَا، وَتُمْسِكُ الأرض ثُلُثَيَّ نَبَاتِهَا، وَالسَّنَةَ الثَّالِثَةَ تُمْسِكُ السَّمَاءُ مَا فِيهَا وَالأرض مَا فِيهَا فَيَهْلِكَ كُلُّ ذَاتِ ضِرْسٍ وظِلْفٍ، وَمِنْ أَشَدِّ فِتْنَتِهِ أَنّه يَقُولُ لِلْأَعْرَابِيِّ: " أَرَأَيْتَ إِن أَحْيَيْتُ لَكَ إِبِلَكَ عَظِيمَةً ضُرُوعُهَا طَوِيلَةً أَسْنِمَتُهَا بَحْتَرٌ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ؟ " فَيَقُولُ: " نَعَمْ " فَيَتَمَثَّلُ لَهُ الشَّيْطَانُ »" ثمّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، وَوَضَعْتُ لَهُ وُضُوءَهُ وانْتَحَبَ الْقَوْمُ حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَابَ فَقَالَ: « مَهْيَمْ؟ » فَقُلْنَا: " يَا رَسُولَ اللهِ خَلَعْتَ قُلُوبَهُمْ بِالدَّجَّالِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ وَأَنَا حَيٌّ فأنا حَجِيجُهُ، وَإِنْ مِتُّ فإن اللهَ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ »» قُلْتُ: " يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا يُجْزِئُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ؟ "" قَالَ: « يُجْزِئُهُمْ مَا يُجْزِئُ أَهْلَ السَّمَاءِ التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِيسَ »".[2]

وهنا كذلك دار حوار بين النبيّ صلّى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم حول الدّجال2 فأخبرهم النبيّ عن بعض فتن الدّجال ثمّ انصرف لقضاء حاجته فخاف الصحابة وارتفع صوتهم بالبكاء، فقال النبيّ لهم: « مَهْيَم »؟ بمعنى أحدث لكم شيء، فقالوا: " خلعت قلوبنا بالدجال ".

3– عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: " غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ، وَلَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرًا، فَقَالَ: " أول مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِبْتُ عَنْهُ، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ مَشْهَدًا بَعْدَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَرَيَنَّ مَا

[1] صحيح البخاري، البخاري، ج3 ص 53

[2] المعجم الكبير، الطبراني، ت. حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط.2 : " 24 ص 159

أَصْنَعُ "، فَهَابَ أن يَقُولَ غَيْرَهَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، شَهِدَ أُحُدًا، قَالَ: فَلَقِيَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: " مَهْيَمْ؟ "، فَقَالَ لَهُ: " يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ"، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَوُجِدَ بِهِ بِضْعَةٌ وَثَمَانُونَ مِنْ رَمْيَةٍ وَطَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ، قَالَتْ أُخْتُهُ: " فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَكَانَ حَسَنَ الْبَنَانِ "، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: قَالَ تَعَالَى:﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ ﴾) الأحزاب، آية 23، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ تَبْدِيلًا ﴾: الأحزاب،آية 23، فَكُنَّا نَرَى أَنَّها نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ".[1]

وجاءت مفردة مَهْيَم في هذا الحديث بنفس المعنى الذي سبق، وقد التقى سعد بن معاذ رضي الله عنه أنس بن النضر قبل غزوة أحد وقد وعد هذا الأخير أن يُبلي مع النبي عليه السلام بلاء كبيرا في حروبه، فقابله سعد بن معاذ فقال له: " مَهْيَم ؟ " أي ما وراءك ؟ فقال له أنس بن النضر إنّي لأجد ريح الجنة دون أحد.

4- وقال كثيّر: " قال لي جميل: " خذ لى موعدا من بثينة! " قلت له: " هل بينك وبينها علامة؟ "" فقال لي: "عهدي بها وهم بوادى الدّوم يرحضون ثيابهم"، فأتيتهم فأجد أباها قاعدا بالفناء، فسلّمت فردّ، وحادثته ساعة حتى استنشدني:

فأنشدته :

فَقُلْتُ لَها: يا عِزّ أَرْسل صاحبى عَلى نَأْيِ دارٍ، والموكّل مُرْسل

بأَنْ تَ:على بينى وبينكِ موعـدا وأن تأْمرينى بالّذي فيه أَفْ

وآخر عـَهْد مِنْـــكِ يوم لقيتـنى بأَسْفل وادي الدَّوم والثّوب يُغسل

فضربت بثينة جانب الخدر وقالت: " اخسأ! " فقال لها أبوها: " مَهْيَم يا بثينة ؟ "

قالت: " كلب يأتينا إذا نوّم الناس من وراء هذه الرّابية"، قال: " فأتيت جميلا فأخبرته أنّها واعدته وراء الرابية إذا نوّم الناس".[2]

وهنا عندما سَمِعت بثينة الأبيات التي أنشدها كثير، فهمت المعنى وقالت: " اخسأ " لتجلب الانتباه فقال لها أبوها: " مَهْيَم ؟ " بمعنى ما أمرك ؟، فتكلمت وضربت موعدا لجميل دون أن يشعر أبوها أو يفهم مرادها.

---

[1] السنن الكبرى، النَّسائي، ت. حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.1. (1421(2001) 10 ص218

[2] الشعر والشعراء، ابن قتيبة، د. الحديث، القاهرة، 1423هـ، ج1 ص 426. 427

ج- خلاصة:

الملاحظ أنّ المعنى المعجمي لمفردة (مَهْيَم ؟) لم يتغير بتغير السياقات والاستعمالات التي وردت فيها هذه المفردة، وهذا حال الكثير من المفردات اللغوية التي تحافظ على معناها فقد استعمل النبيّ صلّى الله عليه وسلم هذه الكلمة اليمانية بمعناها الأصلي الذي ذكره علماء اللّغة، وجاءت في جميع السياقات الأخرى بمعنى الاستفهام الذي ذكرناه في البداية أي: (ما أمرك ؟ وما شأنك ؟)، ويبدو أنّ هذه المفردة قد شاعت كثيرا وأصبحت متداولة لدى أوساط المجتمع العربي حتى صارت مألوفة لديهم، فالنبيّ صلّى الله عليه وسلم القرشي قد استعملها في حديثي أنس بن مالك وأسماء بنت يزيد – وهو الفصيح الذي يعلم لغات العرب ولهجاتها – ولا عجب في استعماله لها، كما استعملها سعد بن معاذ الأنصاري وفهمه أنس بن النضر الأنصاري كذلك عمّ الصحابي الجليل أنس بن مالك، وجاءت كذلك في قصة جميل وبثينة على لسان والد بثينة، ومن هذا يتبين مقصد النبي صلّى الله عليه وسلم من استعماله لهذه المفردة من جانبين ؛ أما الجانب الأول فهو استعماله صلّى الله عليه وسلم للمفردة المختصرة (مَهْيَم ؟) عوضا عن الإطالة باستعمال (ما أمركم ؟)، والإيجاز من البلاغة، أما الجانب الآخر فهو استعماله للمفردة اليمانية وهذا من الفصاحة كذلك.

المبحث الثّالث:
مفردة تُعَنِّكيها

وأصل مفردة (تُعَنِّكيها) يمانية بالمعنى الذي وجد في الحديث النبويّ، وهناك بعض المعاني لها في سياقات أخرى، ونسبة المفردة إلى اليمن موجود عند جار الله الزمخشري في كتابه الفائق. [1]

أ- المعنى المعجمي:

التَّعْنيك: الْمَشَقَّةُ وَالضِّيقُ وَالْمَنْعُ، مِن اعْتَنَك البعيرُ إِذَا ارْتَطَمَ فِي الرَّمْلِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْخَلَاصِ مِنْهُ، أو مِنْ عَنَك البابَ وأَعْنَكَه إِذَا أَغلقه.

وعَنَكَت المرأةُ عَلَى زَوْجِهَا: نَشَزت، وَعَلَى أَبيها: عَصَتْهُ. وَرَوَاهُ ابْنُ الأَعرابي: عَتَكَتْ، بِالتَّاءِ.[2]

وَمِمَّا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا ما ذَكَرَهُ يُونُسُ، قَالَ: " عَنَكَ اللَّبَنُ، إِذَا خَثُرَ ".[3]

ب- سياقات ورودها:

1- قَالَ أبو سُلَيْمَانَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ: " كُنْتُ مَعَهُ فَدَخَلَتْ شَاةٌ لِجَارٍ لَنَا فَأَخَذَتْ قُرْصًا تَحْتَ دَنٍّ لَنَا فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَأَخَذْتُهُ مِنْ بَيْنِ لَحْيَيْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: « مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكِ أن تُعَنِّقِيهَا إنه لا قَلِيلَ مِنْ أَذَى الْجَارِ » ورواه لي بعضهم تُعَنِّكيها وفسره من قولهم اعتَنك البعيرُ إذا ارتطم في رمْل لا يقْدر عَلَى الخلاص منه ".[4]

وجاء هذا الحديث بألفاظ مختلفة منها هذه الرواية، في باب إكرام الجار والإحسان إليه وفيه جاءت شاة لجار النبي صلّى الله عليه وسلم، فأخذت من قرص لهم فجذبتها أم سلمة رضي الله عنها من عنقها كما في إحدى الروايات، فقال لها النبي صلّى الله عليه وسلم ما كان لك أن تُضيّقي عليها وتشددي عليها.

---

[1] انظر ص 93

[2] لسان العرب، ابن منظور، ج 10 ص 471

[3] معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس، ج4 ص 165

[4] غريب الحديث، الخطابي، ج1 ص 838 39

2- وعَنَكَ الفرسُ: كما قال الشاعر:

نُتْبعُهم خَيْلًا لَنَا عَوانِكا

بمعنى نتبعهم بخيل لنا تكر وتفر في الحرب وهو العنك.[1]

3- والمعتنك من الإبل: الذي إذا اشتد عليه الرمل برك وحبا عليه قال رؤبة:

يا حَكَمُ الوارِثُ عن عَبْدِ المَلِكْ مِيراثَ أَحْسابٍ وجُودٍ مُنْسَفِكْ

زانَكَ بَعْـــد اللهِ أن لَمْ تَتــركْ مفتاحَ حاجاتٍ أَنَخْنَاهُنَّ بِكْ

فالذُّخْرُ فِيها عِنْدَنا والأَجْرُ لَكْ أوديْتُ إن لَمْ تَحْبُ حَبْو المُعْتَنِكْ.[2]

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: يُقَالُ اعْتَنَكَ الْبَعِيرُ، إِذَا مَشَى فِي رَمْلٍ عَانِكٍ، أَيْ كَثِيرٍ، فهو لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ فِيهِ إِلَّا أن يَحْبُوَ2 وَأَنْشَدَ هَذَا الْبَيْتَ وَمَعْنَاهُ: إِن لَمْ تَحْمِلْ لِي عَلَى نَفْسِكَ حَمْلَ هَذَا الْبَعِيرِ عَلَى نَفْسِهِ فِي الرَّمْلِ فَقَدْ هَلَكْتُ.

3- وَمِمَّا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْعَنْكُ مِنَ اللَّيْلِ، وَهِيَ سُدْفَةٌ مِنْهُ وَذَلِكَ أَنّ الظُّلْمَةَ كَأَنها تَسُدُّ بَابَ الضَّوْءِ وَالْكَلِمَةُ صَحِيحَةٌ، أَعْنِي أَنّ الْعَنْكَ الظُّلْمَةُ. وَأَنْشَدَ الشاعر:

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ بَعَثْتُ بِجُهْمَةٍ مِنَ اللَّيْلِ لَوْلَا حُبُّ ظَمْيَاءَ عَرَّسُوا

فَقَامُوا كُسَالَى يَلْمِسُونَ وَخَلْفَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ عِنْكٌ كَالنَّعَامَةِ أَقْعَسُ [3]

ج- خلاصة:

جاءت هذه المفردة في عدّة سياقات مختلفة- منها حديث أم المؤمنين أم سلمة الذي أتت فيه بمعنى الشدّة والتضييق، فالنبيّ صلّى الله عليه وسلم أراد أن يعاتب أم سلمة رضي الله عنها على استعمالها للعنف مع شاة الجار، وعندما نرى السياقات الأخرى نجد معاني هذه المفردة قد جاءت كلها متشابهة في معنى الشدّة والضّيق مع أنّ لكل كلمة منها معناها

---

[1] انظر : لسان العرب، ابن منظور، ج 10 ص 471

[2] الجيم، أبو عمرو الشيباني، ت. إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة،(1394هـ - 1974م)- ج2 ص 225

[3] معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس، ج4 ص 165

الخاص بها، فقد جاءت بِمَعْنى الْمَنْع والتضييق من عَنْك الْبَاب وأعنكه إِذا أغلقه، لُغَة يَمَانِية.[1]

وكذلك الْمَشَقَّة من اعتنك الْبَعِير إِذا ارتطم فِي رمل لَا يقدر على الْخَلَاص مِنْهُ وَيُقَال لذَلِك الرمل العانك، وأتت كذلك بمعنى الظّلمة الشديدة التي تسدّ باب الضوء، ويظهر في هذا الحديث مرّة أخرى إعجاز كلام النبي صلّى الله عليه وسلم، فقد استعمل لفظة يمانية وهو القرشي الأميّ.

[1] أُنظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، ج3 ص 232 33 و ينظر : تهذيب اللّغة، الأزهري، ج1 ص206

المبحث الرابع:
مفردة اُنط و مفردة التّساخين

أولا : مفردة اُنط

وردت هذه المفردة في كلام النبي صلّى الله عليه وسلم بنفس اللفظ والمعنى الذي يستعمل في اللّغة اليمنية.

أ- المعنى المعجمي:

قَالَ الْمُفَضَّلُ: " وَزَجر لِلْعَرَبِ تَقولهُ لِلْبَعِيرِ تَسْكِينًا لَهُ إِذا نَفَرَ: (انْطُ فيَسْكُن)، وَهِيَ أَيضاً إِشْلاء لِلْكَلْبِ.[1]

والنَّطْوُ: (السُّكوتُ) [2]

ب- سياقات ورودها:

قَالَ زيد بن ثَابت رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ: " كنت مَعَ النَّبِي صلّى الله عَلَيْهِ وَسلم وهو يُملي عليَّ كتابا وَأَنا أستفهمه فَاسْتَأْذن رجل عَلَيْهِ فَقَالَ له: « اُنطُ » أَي اسْكُتْ "، قَالَ ابْن الْأَعرَابِي: " فقد شرَّف النَّبِي صلّى الله عَلَيْهِ وَسلم هَذِه اللّغة وَهِي حميرية ".[3]

ج- خلاصة:

لقد بحثت عن سياقات أخرى لهذه المفردة من كلام العرب فلم أفلح في ذلك، إلا هذا الحديث الشّريف وقد جاءت فيه المفردة بمعنى اُسكت، وهو الذي تقوله العرب للبعير تسكينا له، والذي أراه أنّ حديث النبي عليه السلام كان موجها لذلك الرجل الذي استأذن على النبي صلّى الله عَلَيْهِ وَسلم ولعلّ ذلك الرجل أصله يمني، فيكون النبي صلّى الله عليه وسلم قد خاطب هذا الوافد عليه بلغته ولهجته فيكون قد تحقق حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال للنبي: " إنا نراك تكلم الوفود بما لا نفهم أكثره " فرد عليه رسول الله: « أدّبني ربّي فأحسن تأديبي »

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج5 ص 333

[2] تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، ت. مجموعة من المحققين، د. الهداية، ج 40 ص 104

[3] الفائق في غريب الحديث و الأثر، الزمخشري، ج3 ص 442

والملاحظة الأخرى في عدم وجود سياقات واستعمالات لهذه المفردة إلّا هذا الحديث النبويّ، فإننا نستنتج نتيجتين اثنين ؛ أمّا الأولى فهي تأثير النبي صلّى الله عليه وسلم على اللّغة العربية من خلال التّلفظ بألفاظ لم يسبقه فيها غيره وإحيائه لكثير من المفردات.

أما النتيجة الثّانية فهي حول قيمة الحديث النبويّ في الدرس اللغوي، فهنا يتوّ على اللغويين مراجعة آرائهم حول الحديث النبويّ واعتمادهم مدونة الحديث كمدونة ثانية بعد القرآن الكريم، والاجتهاد في البحث والدراسة لهذه المدونة فإن فيها من الكنوز اللغوية ما يكفي لإعادة إحياء الدرس اللغوي العربي، وخير دليل على ذلك هذه المفردة، والتي نكاد نجزم أنّها لا توجد إلا في الحديث النبويّ.

ثانيا: مفردة التّساخين

جاءت مفردة التّساخين في حديث النبي صلّى الله عليه وسلم بمعناها الذي اُستعمل في اللّهجة اليمنية.

أ- المعنى المعجمي:

التَّسَاخين: المراجل لَا واحِدَ لَهَا إِلَّا أنّهم قد قَالُوا: " تسْخانٌ "" وهو ظَرْف يُطْبخَ فِيهِ وَقد مَثّل بِهِ سِيبَوَيْهِ.[1]

والتَّساخِينُ: الخفافُ، لَا وَاحِدَ لَهَا مِثْلَ التَّعاشيب، وَقَالَ ثَعْلَبٌ: " لَيْسَ للتَّساخين وَاحِدٌ مِنْ لَفْظِهَا كَالنِّسَاءِ لَا وَاحِدَ لَهَا "، وَقِيلَ: " الْوَاحِدُ تَسْخان وتَسْخَن ".

التَّسْخان تَعْرِيبُ تَشْكَن، وهو اسْمُ غِطاء مِنْ أَغطية الرأْس[2] كانَ العُلَماءُ والمَوَابِذةُ يأْخذُونهم على رُؤُوسهم خاصَّةً دُونَ غيْرِهم.[3]

ب- سياقات ورودها:

1- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: "بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَأَصَابَهُمُ الْبَرْدُ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَوْا إِلَيْهِ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْبَرْدِ فَأَمَرَهُمْ أن يَمْسَحُوا عَلَى الْعَصَائِبِ وَالتَّسَاخِينِ".[4]

---

[1] اُنظر: المخصص، ابن سيده، ت.خليل إبراهم جفال، د. إحياء التراث العربي، بيروت، ط.1. 1417هـ، 1996 1 ص 465

[2] لسان العرب، ابن منظور، ج13 ص 207

[3] تاج العروس، الزَّبيدي، ج35 ص 177

[4] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج37 ص 66

(التَّسَاخِينِ) الْوَاحِدُ تَسْخَانٌ، وَهِيَ الْخِفَافُ، لُغَةٌ يَمَانِيَةٌ.

ج- خلاصة:

بحثت في الكثير من المدونات اللغوية مثل المعاجم وكتب اللّغة القديمة والمدونات الشعرية لكنني لم أجد هذه المفردة إلا في حديث النبي صلّى الله عليه وسلم، وهذا الذي لاحظناه من قبل في مفردة (أُنط)، وهذا حال الكثير من المفردات التي لاحظنا أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم هو أول – ربما – من أطلقها أو أحياها في كلام العرب، وهذا من إعجازه وبلاغته صلّى الله عليه وسلم، فأحيانا يطلق العبارة أو المفردة لم يسبقه فيها أحد.

أما نِسبة هذه المفردة إلى اللّهجة اليمنية فهذا دليل كذلك على فصاحته صلّى الله عليه وسلم، ومفردة (التّساخين) وجدنا من معانيها غطاء الرأس الذي يأخذه العلماء والموابذة على رؤوسهم وهو تعريب لمفردة (تشكن) الفارسية[1]، فنقول أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم ربما قصد أغطية الرأس، خاصة وأنّه ذكر كلمة (العصائب) وأردفها بمفردة (التّساخين)) فيكون قد شرح المفردة الأولى بالمفردة الثّانية، وهذا من أسلوبه صلّى الله عليه وسلم، فكان في الكثير من الأحيان يكرر الكلمة ليفهمه الصحابة رضي الله عنهم.

[1] انظر : تاج العروس، الزبيدي، ج35 ص 177

المبحث الخامس:
مفردة لُكَع

وهذه الكلمة نسبها إلى قبيلة تميم بالمعنى الذي أراده النبي صلّى الله عليه وسلم عندما نادى على الحسين بن علي رضي الله عنهما بلُكَع.

أ- المعنى المعجمي:

اللُّكَعُ: وسِخُ القُلْفَةِ لَكِعَ عَلَيْهِ الوَسَخُ لَكَعاً إِذا لَصِقَ بِهِ ولَزِمَه واللَّكْعُ: النَّهْزُ فِي الرَّضاعِ ولَكَعَ الرجُلُ الشاةَ إِذا نَهَزَها، ونَكَعَها إِذا فَعَلَ بِهَا ذَلِكَ عِنْدَ حَلْبِها، وهو أن يَضْرِبَ ضَرْعَها لِتدِرَّ.

واللُّكَعُ: المُهْرُ والجَحْشُ، والأُنثى بِالْهَاءِ، وَيُقَالُ للصبيِّ الصَّغِيرِ أَيضاً لُكَعٌ.

واللَّكِيعةُ: الأَمَةُ اللئيمةُ ولَكِعَ الرجُل يَلْكَعُ لَكَعاً ولَكاعةً: لَؤُمَ وحَمُقَ.[1]

وقيلَ: " هو العَبْدُ " وهو قَوْلُ أبي عُبَيْدٍ، زادَ الجَوْهَرِيُّ الدَّليلُ النَّفْسِ.

وقالَ الأصْمَعِيُّ: " اللُّكَعُ مَنْ لَا يتَّجِهُ لِمَنْطِقٍ وَلَا غَيْرِه، وهو العَيِيُّ ".[2]

ب- سياقات ورودها:

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ المَدِينَةِ، فانصرف فانصرفت، فَقَالَ: « أَيْنَ لُكَعُ؟ - ثَلَاثًا - ادْعُ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ »، فَقَامَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَالْتَزَمَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ » " قَالَ أبو هُرَيْرَةَ: " فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ ".[3]

وفي هذا الحديث جاءت مفردة لُكَع بالمعنى الذي يُطلق على الطفل الصغير.

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج8 ص 322

[2] تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، ج 22 ص 161

[3] صحيح البخاري، البخاري، ج7 ص 159، انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، ج3 ص 329

2- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ قَالَ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعٍ » ".[1]

وعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَعْضِ، أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « يُوشِكُ أَن يَغْلِبَ عَلَى الدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ بَيْنَ كَرِيمَتَيْنِ ».[2]

أي أنّ أسعد الناس بالدنيا في ذلك الزمان هم العبيد وسفلة القوم لأنّ الساعة تقوم في آخر الزمان على شرار الناس، أما أتقى الناس وأقربهم إلى الله تعالى فتجدهم أبعد الناس عن ملاهي الدنيا.

3- عَنْ يُحَنَّسَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ أنّه كَانَ جَالِساً عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فِي الْفِتْنَةِ- فَأَتَتْهُ مَوْلاَةٌ لَهُ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: " إِنِّي أَرَدْتُ الْخُرُوجَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الزَّمَانُ "، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: " اقْعُدِي لُكَعُ، فإنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لاَ يَصْبِرُ عَلَى لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ، إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أو شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ".[3]

وقَوْلُهُ هنا لُكَعُ فإنّه أَرَادَ ضَعِيفَةَ الرَّأْيِ[4] فأراد عتابها والإنكار عليها وهو مشفق عَلَيْهَا لِخَطَئِهَا فِيمَا تُرِيدُ مِنْ الِانْتِقَالِ عَنْ الْمَدِينَةِ مَا فِي مُلَازَمَتِهَا وَالصَّبْرِ عَلَى شِدَّتِهَا مِنْ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ.[5]

4- عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: " أَنّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رَأَى رَجُلًا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حَامِلًا أُمَّهُ، وهو يَقُولُ: " أَتَرَيْنِي جَزَيْتُكِ يَا أُمَّهْ؟ " فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: " أَيْ لُكَعُ وَلَا طَلْقَةً وَاحِدَةً ".[6]

---

[1] سنن الترمذي، الترمذي، ج4 ص 493، انظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، ج2ص223

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج39 ص 57، انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، ج3 ص 329

[3] الموطأ، الإمام مالك بن أنس، ج5 ص 1303

[4] ينظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، ت.مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ، ج 21 ص 24

[5] المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي، مطبعة السعادة، مصر، ط.1 1332هـ، ج7 ص 189

[6] أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، الفاكهي، ت.عبد الملك عبد الله دهيش، د. خضر، بيروت، ط.2. 1414هـ، ج1 ص 312

وفي هذا الحديث جاءت مفردة (لكع) بنفس المعنى في الحديث السّابق(أي يا ضعيف الرأي والعلم أما تعلم أنّ عملك هذا لا يوفي لأمك وجع واحد من أوجاعها عند ولادتك.

ج- خلاصة:

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، نادى النبي صلّى الله عليه وسلم الحسنَ بن علي رضي الله عنه وهو طفل صغير بـ: (لكع) يعنيه فيه، أي ؛ أين الطفل ؟ واستعمل المفردة كذلك في حديث حذيفة بن اليمان بمعنى آخر قصد فيها العبيد وسفلة الناس، وجاءت كذلك في حديث عبد الله بن عمر الذي تلفظ فيه هذا الأخير بمفردة (لكع) وقصد بها ضعيفة الرأي، وجاء معناها المعجمي كما رأينا تطلق على الجحش الراضع[1] أو المهر وربما أُطلقت على العبد، واللئيم والأحمق، ويبدو أنّ هذه المفردة قد جاءت بعدّة معاني متباينة، إلا أنّها تشترك كلها في عدم بلوغ العقل لكل من أُطلقت عليه هذه الكلمة، فقد أُطلقت على الصَّغِير فِي لُغَة بني تَمِيم، وقيل معناها ضعيف الرأي والعبد والمهر والأحمق وغيرها من المعاني، وهذه كلها معاني لمسميات لم تبلغ فيها سمة العقل، فهي إمّا مسميات غير عاقلة أصلا مثل بعض الحيوانات، أو أنّها أُطلقت على إنسان مثل الصّبي أو العبد الذي ليس له رأي، واستعمال النبي صلّى الله عليه وسلم لهذه المفردة في حديث أبي هريرة بالمعنى المستعمل في تميم، وتميم من قبائل الحجاز فهي ليست بعيدة من قريش، إلا أنّها تختلف عن لهجة قريش في الكثير من المستويات، واستعماله هذا يعد من الفصاحة النبويّة، خاصة وقد وجدناها في حديث آخر وهو حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بمعنى آخر قد يكون هو المعنى المتداول في بيئته صلّى الله عليه وسلم.

[1] اُنظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج1 ص184

المبحث السادس:
مفردة تَسْتَأْنِسوا

استعمل النبي صلّى الله عليه وسلم مفردة تستأنسوا بالمعنى الذي يوافق لغة أهل اليمن، وإن كانت هناك عدّة معاني لهذه المفردة، وُجِدت في سياقات أخرى.

أ- المعنى المعجمي:

معنى تستأنسوا في اللّغة تَسْتَأْذِنُوا، وكذلك هو في التفسير، والاستئذان الاستعلام، تقول آذَنتُه بكذا أي أعلَمْتُه، وكذلك آنست مِنْهُ كذا، وكذا عَلِمْتُ منه، فمعنى تَسْتَأْنِسُوا تستعلِمُوا.[1]

والاستئناسُ فِي كلامِ العرب: اذهب فاسْتأنس هَلْ ترى أحداً1 فيكون المعنى: "انظروا من فِي الدار".[2]

والإيناسُ: خِلَافُ الإيحاش، وَكَذَلِكَ التَّأْنِيس والأَنَسُ والأُنْسُ والإِنْسُ الطمأْنينة، وَقَدْ أَنِسَ بِهِ وأَنَسَ يأْنَسُ ويأْنِسُ وأَنُسَ أُنْساً وأَنَسَةً وتَأَنَّسَ واسْتَأْنَسَ.

قال ابْنُ الأَعرابي: " أَنِسْتُ بِفُلَانٍ أَي فَرِحْتُ بِهِ، وآنَسْتُ فَزَعاً وأَنَّسْتُهُ إِذا أَحْسَسْتَه ووجدتَهُ فِي نَفْسِك"، وآنَسْتُ الصوتَ: سَمِعْتُهُ، واسْتَأْنَسْتُ: اسْتَعْلَمْتُ [3]

ب- سياقات ورودها:

1- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾- القصص، آية 29.

وقوله تعالى:﴿ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾، أَيْ أَبْصَرَ وَرَأَى قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: تَقُولُ الْعَرَبُ اذْهَبْ فَاسْتَأْنِسْ هَلْ تَرَى أَحَدًا، مَعْنَاهُ تُبْصِرُ.[4]

---

[1] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ت.عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط.1 (1408هـ - 1988م) 4 ص 39

[2] معاني القرآن، الفراء يحي بن زياد، ت. أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، د. المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط.1 2 ص 249

[3] لسان العرب، ابن منظور، ج6 ص 414 15

[4] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي شمس الدين، ج5 ص 36

2- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾6 النور، آية 28.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا السَّلَامُ , فَمَا الِاسْتِئْنَاسُ، قَالَ: «يَتَكَلَّمُ الرَّجُلُ بِتَسْبِيحَةٍ، وَتَكْبِيرَةٍ، وَتَحْمِيدَةٍ، وَيَتَنَحْنَحُ، وَيُؤْذِنُ أَهْلَ الْبَيْتِ» [1]

3- عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « الِاسْتِئْنَاسُ أن يَدْعُو الْخَادِمَ حَتَّى يَسْتَأْنِسَ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ ».[2]

وَالْمُرَادُ بِالِاسْتِئْنَاسِ الِاسْتِئْذَانُ بِتَنَحْنُحٍ وَنَحْوِهِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ2 وَأَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا تَتَنَحْنَحُوا أو تَتَنَخَّمُوا وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا دَخَلَ الدَّارَ استأنس؛ يتكلّم ويرفع صوته وَأَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ قَالَ: " الِاسْتِئْنَاسُ هو الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثًا؛ فَالْأُولَى لِيَسْمَعَ وَالثَّانِيَةُ لِيَتَأَهَّبُوا لَهُ وَالثَّالِثَةُ إن شَاءُوا أَذِنُوا لَهُ وَإِنْ شَاءُوا رَدُّوا ".[3]

وَيَحْتَمِلُ كذلك مَعْنَى تَسْتَأْنِسُوا: تَسْتَبْصِرُوا، أَيْ: يَكُونُ دُخُولُكُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ فَلَا يُوَافِقُ دُخُولُكُمُ الدَّارَ مَا يَكْرَهُ صَاحِبُهَا أَن تَطَّلِعُوا عَلَيْهَا.[4]

4- يروي ابن عباس قصة هجر النبي صلّى الله عليه وسلم لأزواجه في حديث طويل وفيه: قال عمر رضي الله عنه:" فَدَخَلْتُ، فَسَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا هو مُتَّكِئٌ عَلَى رَمْلِ حَصِيرٍ، قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْتُ: " أَطَلَّقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ نِسَاءَكَ؟ " فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: « لَا »، فَقُلْتُ: " اللهُ أَكْبَرُ، لَو رَأَيْتَنَا يَا رَسُولَ اللهِ وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ، فَتَغَضَّبْتُ عَلَى امْرَأَتِي يَوْمًا، فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فأنكَرْتُ أن تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: " مَا تُنْكِرُ أن أُرَاجِعَكَ، فَوَاللهِ إِنّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى

---

[1] الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، ت. كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط.1. 1409. ج5 ص 242

[2] فتح القدير، الشوكاني، د. ابن كثير، د. الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط.1. 1414هـ، ج4 ص 25

[3] فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج11 ص 8

[4] أُنظر: شعب الإيمان، البيهقي2 2.الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع د. السلفية ببومباي بالهند، ط. الأولى، (1423هـ - 2003م)3 112 ص 208

اللَّيْلِ"، فَقُلْتُ: " قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ "، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: " يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: " لَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوسَمُ مِنْكِ، وَأَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكِ "، فَتَبَسَّمَ أُخْرَى، فَقُلْتُ: " أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللهِ "، قَالَ: « نَعَمْ »، فَجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ، فَوَاللهِ، مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ، إِلَّا أَهَبًا ثَلَاثَةً، فَقُلْتُ: " ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ "، فَاسْتَوَى جَالِسًا، ثُمّ قَالَ: « أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا »، فَقُلْتُ: " اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ، حَتَّى عَاتَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ".[1]

وَالِاسْتِئْنَاسُ في هذا الحديث بمعنى طَلَب الْإِينَاسِ وهو مِنَ الْأُنْسِ بِالضَّمِّ ضِدُّ الْوَحْشَةِ وَقَدْ دل على هذا المعنى قول عمر: " فَقُلْتُ أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَجَلَسَ ".[2]

وهناك معنى آخر مستنبط من هذا الحديث، وهو أنّه أحبّ أن يعلم أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكره جلوسه.[3]

5- قال الشاعر: ولكنّني أجمعُ المُؤنِسَات إذا ما اسْتَخَفَّ الرّجالُ الحَديدَا

يعني أنّه يُقاتِل بجميع السِّلاَح وإنما سَمَّاها بالمُؤْنِسَات لأنّهن يُؤْنِسْنَه بأقرانه فيُؤَمِّنَّه أو يُحَسِّنَّ ظَنَّه.

6- كانت العربُ والقُدَماءُ تُسَمِّي يَوْمَ الخميس مُؤْنِساً لأنّهم كانوا يميلون فيه إلى الملاذّ قال الشاعر:

أُؤَمِّلُ أن أَعِيشَ وأنّ يَوْمي بأَوَّل أو بأَهْوَن أو جُبَارِ
أو التَّالي دُبارٍ فإن أفته فَمُؤْنِسِ أو عَرُوبَةَ أو شِيارِ.[4]

---

[1] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ج2 ص 1111

[2] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج 11 ص 8

[3] شرح صحيح البخارى، ابن بطال، ت.أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط.2 (1423هـ - 2003م) 9 ص 010 11

[4] المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ت. عبد الحميد هنداوي، د. الكتب العلمية، بيروت، ط.1 (1421هـ-2000م)(ج 8 ص555

وكانت العرب في الجاهلية تسمي السبت: شِياراً، والأحد: أولَ، والاثنين: أَهْوَنَ، والثلاثاء: جُباراً، والأربعاء: دُباراً، والخميس: مُؤنساً، والجمعة: عَروبة.[1]

وقال الحماني:

تستأنس الضَّيف في أبياتنا أُنساً فليسَ يعلمُ خلقٌ أيُّنا الضّيفُ

والسَّيفُ إن قسته يوماً بنا شبهاً في الرَّوع لم يدْر عزماً أيُّنا السَّيفُ

والعرب تقول: " إذا أظلم الليل تَأْنس كل وحشتي، وتوحش كل إنسى "، يريدون تَأْنس استأنس، وبتوحش استوحش.[2]

ويقولون: " جئته إذا استأنس الوحشي، واستوحش الإنسي " يعنون ليلاً، وقيل هذه الكلمة أول من قالها رسول الله صلّى الله عليه: « والإنس تستوحش بالليل ».[3]

وقال أبو تمام كذلك في هذا المعنى:

مستأنسين إلى الحُتوفِ كأنّها بين الحُتوفِ وبَيْنَهم أرْحامُ. [4]

7- أَنشد ابْنُ الأَعرابي:

بعَيْنَيَّ لَمْ تَسْتَأْنِسا يومَ غُبْرَةٍ وَلَمْ تَرِدا جَو العِراقِ فَتَرْدَما.

وآنَسَ الشيءَ: أَحَسَّه. وآنَسَ الشَّخْصَ واسْتَأْنَسَه: رَآهُ وأَبصره وَنَظَرَ إِليه.[5]

8 – وقدم الحطيئة المدينة فوقف إلى عتيبة بن النهاس العجليّ، فقال: " أعطني"، فقال: " مالَكَ عندي حقّ فأعطيكه، وما في مالي فضل عن عيالي فأعود به عليك "، فخرج عنه مغضبا، وعرّفه به جلساؤه، فأمر بردّه، ثمّ قال له: " يا هذا، إنّك وقفت إلينا فلم تستأنس ولم

---

[1] الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، ت. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.1. (1412هـ -1992) 2 ص356

[2] شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، ت. غريد الشيخ، د. الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1. (1424هـ - 2003م)(ص 1081(1082

[3] الفتح على أبي الفتح، ابن فُورَّجَة، ت. عبد الكريم الدجيلي، د. الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط.2. 1987 ص67

[4] حماسة الخالديين بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، الخالديان: أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، و أبو عثمّان سعيد بن هاشم الخالدي، ت. الدكتور محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 1995 95 511

[5] المحكم والمحيط الأعظم، بن سيده، ج 8 ص556

تسلّم، وكتمتنا نفسك، كأنّك الحطيئة ؟ " قال: " هو ذلك"، قال: " اجلس فلك عندنا كلّ ما تحب "، فجلس فقال له: " من أشعر الناس؟ " قال الذي يقول:

ومنْ يَجْعَل المَعْروف من دون عِرْضِه يَفِرْه ومــن لا يتّق الشّتم يُشْـتَم

يعني زهيرا.

قال: ثمّ من؟ قال: الذي يقول:

منْ يَسْأَل النّاسَ يَحْرِموه وسائِـل الله لا يَخيبَ

يعني عبيدا.

قال: ثمّ من؟ قال: أنا [1]

وفي هذه القصة جاءت عبارة (لم تستأنس) بمعنى (لم تستأذن)، فقد دخل الحطيئة على القوم وفيهم عتيبة العجلي) لكنّه لم يكشف على نفسه ولم يستأذن وطلب العطاء فلم يعطه عتيبة لعدم استئذانه.

ج- خلاصة:

إن المتتبع للسياقات السابقة التي وردت فيها مفردة تستأنس- أو جاءت من اشتقاقاتها، يرى أنّها تُستعمل لعدة معاني منها الاستعلام، أو الاستبصار، أو طلب الطمأنينة والأنس.

أما المعنى الذي ورد في حديث النبي وقصده صلّى الله عليه وسلم من خلال تفسيره لسورة النور والذي فيه وافق فيه لغة اليمن هو الاستئذان، فقد حَكَى الطَّحَاوِيُّ أنّ الاِسْتِئْنَاسَ فِي لُغَةِ الْيمن الاسْتِئْذَان وَجَاء عَن بن عَبَّاسٍ إِنْكَارُ ذَلِكَ فَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَالطَّبَرِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنّ ابن عَبَّاسٍ كَانَ يَقْرَأُ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا [2]، وقد وافق هذا المعنى الذي جاء به النبي صلّى الله عليه وسلم الكثير من المعاني الواردة في السياقات السابقة منها ما جاء في قصة الحطيئة الذي لم يستأنس أي لم يستأذن.

أمّا في حديث ابن عباس رضي الله عنه فقد طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأنس من الرسول صلّى الله عليه وسلم، ومعناه أنّ عمر يريد أن يعلم أنّ النبي لا يكره جلوسه فهو إذن يأنس به، أو غير ذلك، فرد عليه صلّى الله عليه وسلم بـ « نعم »، وهذا

[1] العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، د. الكتب العلمية، بيروت، ط.1 1404هـ، ج1 ص 238 239

[2] فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج11 ص 8

معنى آخر غير الاستئذان الموجود في الآية، ويدعم هذا المعنى كثير من الأمثلة والسياقات التي أوردناها سابقا منها قول الحماني:

تستأنس الضّيف في أبياتنا أنساً فليسَ يعـلم خَلْـق أيـنّا الضـيف

وتلك الأبيات التي تحدثت عن الأيام وكان الخميس فيها يسمى مؤنسا، ومنها كذلك الأمثال العربية التي أوردناها.

وهناك بعض اللطائف جاءت في كتب علوم القرآن بين الاستئناس والاستئذان، فالاستئذان ينصرف إلى الاستئذان بالقول، وأما الاستئناس فيشمل القول وغيره من الأفعال التي تؤذن بالقدوم كالتسبيح والتحميد والتنحنح وما شابه ذلك، هذا إلى ما تشير إليه القراءة المتواترة من أن يكون الاستئذان يقصد به الأنس وإزالة الوحشة، وعدم إيلام المستأذن عليه، ولا هكذا لفظ (تستأذنوا) فقد يكون الاستئذان مصحوبا بالخشونة، أو الإيحاش أو الإيلام، إلى غير ذلك من الأسرار والمعاني النبيلة التي تظهر لمن يمعن النظر في القرآن.[1]

فالاستئناس إذن هو حِسُّ الإيناس لأهل البيت قبل دخوله، ولا يسوغ في ذوق العربية أن يقال مثلاً: "استأنس الشرطي، أو جابى الضرائب، أو الجائن"، وإنما هو الاستئذان ليس فيه حِسُّ إيناس، كما لا يسوغ استعمال (آنس) في رؤية عدو أو نار حريق، أو في سماع هزيم رعد وزئير وحش".[2]

---

[1] المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شُهبة، مكتبه السنة، القاهرة، ط.2 (1423هـ – 2003م) 3 0 366

[2] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشاطئ، د. المعارف، ط. 3 3 0 218

المبحث السابع:
مفردة رَاحَ

جاءت هذه المفردة بلغة أهل الحجاز في حديث النبي صلّى الله عليه وسلم، عندما استعملها مطلقة، غير مقترنة بأي وقت أو زمن.

أ- المعنى المعجمي:

وقد جاء في الصحاح:

الرواح: نقيض الصَباح، وهو اسمٌ للوقت من زوال الشمس إلى الليل، وقد يكون مصدر قولك: " راحَ يَروح رَواحاً "، وهو نقيض قولك: " غدا يغدو غدوا ".

وتقول: " خرجوا بِرَواحٍ " من العَشِيّ، وسَرَحَت الماشِيَةُ بالغَداةِ وراحَتْ بالعَشِيّ، أي :" وتقول: " ذاك في سَراحٍ ورَواحٍ "، أي سُهولة والمُراحُ بالضم: " حيثُ تأوي إليه الإبل والغَنَمُ بالليل ".[1]

وفي كتاب لسان العرب:

يُقَالُ: " رَاحُوا يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا ورُحْنا رَواحاً " ؛ يَعْنِي السَّيْرَ بالعَشِيِّ، وَسَارَ الْقَوْمُ رَواحاً وراحَ القومُ كَذَلِكَ، وتَرَوَّحْنا: سِرْنا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أو عَمِلْنا.

قَالَ الأَزهري: " وَسَمِعْتُ الْعَرَبَ تَسْتَعْمِلُ الرَّواحَ فِي السَّيْرِ كلَّ وَقْتٍ "، تَقُولُ: " راحَ القومُ إِذا سَارُوا وغَدَوْا "، وَقِيلَ: " أَصل الرَّواح أَن يَكُونَ بَعْدَ الزَّوَالِ".

وإِذا قَالَتِ الْعَرَبُ: " رَاحَتِ الإِبل تَرُوحُ وتَراحُ رَائِحَةً "، فَرواحُها هَاهُنَا أَن تأْوِيَ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلى مُراحِها الَّذِي تَبِيتُ فِيه، يقول ابْنُ سِيدَهْ: " والإِراحةُ رَدُّ الإِبل وَالْغَنَمِ مِنَ العَشِيِّ إِلى مُرَاحِها حَيْثُ تأْوِي إِليه لَيْلًا، وَقَدْ أَراحها رَاعِيهَا يُرِيحُها ".[2]

ب- سياقات ورودها:

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أَنّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثمّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ

[1] الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، الجوهري، ج1 ص368: 369

[2] لسان العرب، ابن منظور، ج2 ص 464

الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» "[1]، وحول هذا ننقل كلاما فقهيا لابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري:

" وَانْفَصَلَ الْمَالِكِيَّةُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَبَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ عَنِ الْإِشْكَالِ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّاعَاتِ الْخَمْسِ لَحَظَاتٌ لَطِيفَةٌ أَوَّلُهَا زَوَالُ الشَّمْسِ وَآخِرُهَا قُعُودُ الْخَطِيبِ عَلَى الْمِنْبَرِ وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ السَّاعَةَ تُطْلَقُ عَلَى جُزْءٍ مِنَ الزَّمَانِ غَيْرِ مَحْدُودٍ تَقُولُ جِئْتُ سَاعَةَ كَذَا وَبِأَنَّ قَوْلَه فِي الحديث « ثمّ رَاحَ » يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ الذَّهَابِ إِلَى الْجُمُعَةِ مِنَ الزَّوَالِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الرَّوَاحِ مِنَ الزَّوَالِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ وَالْغُدُوّ مِنْ أَوَّلِه إِلَى الزَّوَالِ قَالَ الْمَازِرِيُّ تَمَسَّكَ مَالِكٌ بِحَقِيقَةِ الرَّوَاحِ وَتَجَوَّزَ فِي السَّاعَةِ وَعَكَسَ غَيْرُهُ، وَقَدْ أَنْكَرَ الْأَزْهَرِيُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الرَّوَاحَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الزَّوَالِ وَنَقَلَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ رَاحَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ بِمَعْنَى ذَهَبَ، قُلْتُ وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى الزَّيْنِ بْنِ الْمُنِيرِ حَيْثُ أَطْلَقَ أَنَّ الرَّوَاحَ لَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْمُضِيِّ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ بِوَجْهٍ وَحَيْثُ قَالَ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الرَّوَاحِ بِمَعْنَى الْغُدُوِّ لَمْ يُسْمَعْ وَلَا ثَبَتَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ثمّ إِنِّي لَمْ أَرَ التَّعْبِيرَ بِالرَّوَاحِ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا فِي رِوَايَةِ مَالِكٍ هَذِه عَنْ سُمَيٍّ وَقد رَوَاهُ بن جُرَيْجٍ عَنْ سُمَيٍّ بِلَفْظِ غَدَا وَرَوَاهُ أَبُو سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ "الْمُتَعَجِّلُ إِلَى الْجُمُعَةِ كالمهدي بَدَنَةً" الحديث وَصَحَّحَهُ بن خُزَيْمَةَ وَفِي حَدِيثِ سَمُرَةَ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ الْجُمُعَةِ فِي التبكير كناحر الْبَدَنَةِ الحديث أخرجه بن مَاجَهْ وَلِأَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ غَدَتِ الشَّيَاطِينُ بِرَايَاتِهَا إِلَى الْأَسْوَاقِ وَتَغْدُو الْمَلَائِكَةُ فَتَجْلِسُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَتَكْتُبُ الرَّجُلَ مِنْ سَاعَةٍ وَالرَّجُلَ مِنْ سَاعَتَيْنِ" الْحَدِيثَ فَدَلَّ مَجْمُوعُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّوَاحِ الذَّهَابُ " [2]

2- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَيْنَمَا هو يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لِمَ تَحْتَبِسُونَ عَنِ الصَّلاَةِ؟ " فَقَالَ الرَّجُلُ: " مَا هو إِلَّا أن سَمِعْتُ النِّدَاءَ تَوَضَّأْتُ "، فَقَالَ: " أَلَمْ تَسْمَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِذَا رَاحَ أَحَدُكُمْ إِلَى الجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ ».[3]

---

[1] صحيح البخاري، البخاري، ج2 ص3، انظر: غريب الحديث، الخطابي، ج1 ص 327

[2] فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج 2 ص 369

[3] نفسه، ج2 ص 369 370

وهذا الحديث كذلك اختلف فيه العلماء من حيث معنى كلمة راح، ودار بينهم نقاش فقهي حولها، فإذا كانت كلمة (راح) بمعنى الذهاب مع الزوال فإن الاغتسال لا يجزئ نهار الجمعة إذا كان باكرا، أما إذا كان معنى راح مطلقا على الذهاب بصفة عامة، فالأمر بعكس ذلك.

3- وَقَالَ لبيد:

راحَ القطِينُ بِهَجْرٍ بعد مَا ابتَكَرُوا

فقَرنَ الهجْر بالابتكار، والرَّواح عِنْدهم: الذَّهاب والمُضيّ، يُقَال: " راحَ القومُ "، أَي خَفُّوا ومَرُّوا أيّ وقتٍ كَانَ.[1]

4- قال مَرْوان بن أبي حفصة يذمّ قوما استكثروا من رواية الأشعار ولا يعلمون ما هي:

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما في الغرائر.[2]

وهذه أبيات جاءت فيها كلمة (راح) بالمعنى الذي يفيد عكس الغدو، فالرّواح يكون بعد الزوال أما الغدو فيكون صباحا.

5- قال الفرزدق لمّا عُزِل مسلمة بن عبد الملك عن العراق:

راحت بمَسْلَمَةَ الرَّكابُ مُوَدَّعاً فَارْعَىْ فَزَارَةُ لاَ هَنَاكِ المَرْتَعُ

فَسَدَ الزَّمَانُ وبُدِّلَتْ أعْلامُــهُ حتَّى أُمَيَّةُ عن فَزَارَةَ تَنْزِعُ

ولَقَدْ علِمْتُ إِذَا فَزَارَةُ أُمّــرَتْ أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ في الإمارةِ أَشْجَعُ

ولَخَلْقُ رَبِّكَ مَا هُمُ ولَمِثــلُهُمْ في مِثْلِ ما نالَتْ فَزَارَةُ تَطْمَعُ

تُزِعَ ابنُ بِشْرٍ وابنُ عمْرٍو قبلَهُ وأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِها يتَوَقَّعُ

ومفردة (راحت) في أبيات الفرزدق جاءت بمعنى ذهابه أو سيره بالعشي.[3]

ج- خلاصة:

إن الناظر لجميع السياقات التي وردت سابقا – من حديث للنبي صلّى الله عليه وسلم، وكذا كلام العرب – يرى أنّ هذه المفردة لا تخرج عن معنيين اثنين، ففي حديثي أبي هريرة

---

[1] تهذيب اللّغة، محمد الهروي، ج6 ص30

[2] المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ج2 ص 267

[3] سر صناعة الإعراب، ابن جني، د. الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1. (1421هـ- 2000م)7 22 ص307

رضي الله عنه أتت مطلقة بمعنى الذهاب، دون ربطها بأي وقت، وهو ما دلّ عليه حديث الاغتسال، فكيف يأمر النبي صلّى الله عليه وسلم بالتبكير للمسجد يوم الجمعة؟ ثمّ يأمرهم بالاغتسال وقت الرواح؟ أي وقت الزوال، هذا إذا افترضنا الرواح مقيد بالزوال، ومن جانب آخر فقَدْ أَنْكَرَ الْأَزهريُّ على مَنْ زعم أَنّ الرَّواح لَا يكون إِلَّا بَعْدَ الزَّوال وَنقلَ أَنّ الْعربَ تقول رَاحَ فِي جَميع الْأَوقات بِمعنَى ذَهب قَال وَهي لُغة أَهل الْحجاز[1] ويوافق هذا المعنى ما وجد في كتاب المزهر تعليقا على قول لبيد ؛ " يُقَال: " راحَ القومُ "، أَي خَفُّوا ومَرُّوا أيّ وقتٍ كَانَ "، وذلك عندما ربط لبيد الهجر بالابتكار، وعندما بحثت عن معنى مفردة الهجر فهي من الهاجرة والهاجرة وقت الظهر، فهي إذن تتناسب مع معنى الرواح في لغة العرب المقيد بوقت الزوال إلى العشيّ، وهذا عكس المعنى الموجود في قول لبيد.

والناظر إلى السياقات الخاصة بكلام العرب يجد معظمها تدل على المعنى الذي يأتي بعكس الغدو و التبكير.

[1] أُنظر: فتح الباري، ابن الحجر العسقلاني، ج 2 ص 369

المبحث الثامن:
مفردة أَدْفوه

تطلق هذه المفردة في لغة أهل اليمن على معنى، أما النّبي صلّى الله عليه وسلم فقد قصد بها معنى آخر تماما وهو المتداول في لغة العرب، و هذا المشترك اللفظي قد ترتبت عنه عدّة أمور هامة سنتعرف عليها في حديث النبي صلّى الله عليه وسلم.

أ- المعنى المعجمي:

دفأ: الدِّفْءُ والدَّفَأُ: نَقِيضُ حِدّةِ البَرْدِ، وَالْجَمْعُ أَدْفاء.

والدَّفَأُ، مهموز مقصور: هو الدِّفءُ نَفْسُهُ، إِلَّا أَنّ الدِّفْءَ كأنّه اسْمٌ شِبْه الظِّمْء، والدَّفَأُ شِبه الظَّمَإِ. والدَّفاء، مَمدود: مَصْدَرُ دَفِئْتُ مِنَ الْبَرْدِ دَفاءً.

وَيَكُونُ الدِّفْءُ: السُّخونَة، وَقَدْ دَفِئَ دَفاءةً مِثْلُ كَرِهَ كَراهةً. ودَفَأً مِثْلُ ظَمِئَ ظَمَأً، ودَفُؤَ وتَدَفَّأَ وادَّفأَ واسْتَدْفَأَ، وأَدْفَأَه: أَلْبَسه مَا يُدْفئه، وَيُقَالُ: " ادَّفَيْتُ واسْتَدْفَيْتُ "" أَي لبست مَا يُدْفئني، وَهَذَا عَلَى لُغَةِ مَنْ يَتْرُكُ الْهَمْزَ، وَالاسْمُ الدِّفْءُ بِالْكَسْرِ، وهو الشَّيْءُ الَّذِي يُدْفِئُك، وَالْجَمْعُ الأَدْفاءُ تَقُولُ: " مَا عَلَيْهِ دِفْءٌ " لأَنّه اسْمٌ، وَلَا تَقُلْ مَا عَلَيْهِ دَفاءةٌ لأَنّه مَصْدَرٌ، وَتَقُولُ: " اقْعُد فِي دِفْءِ هَذَا الحائط أَي كِنِّه "، وَرَجُلٌ دَفِئٌ، عَلَى فَعِلٍ، إِذَا لَبِسَ مَا يُدْفِئه، والدِّفاءُ مَا اسْتُدْفِئَ بِهِ وَمَا كَانَ البيتُ دفيئاً، وَلَقَدْ دَفُؤَ، وَمَنْزِلٌ دَفِيءٌ عَلَى فَعِيلٍ، وغُرْفَةٌ دَفِيئَةٌ، وَيَوْمٌ دَفِيءٌ، وَلَيْلَةٌ دَفِيئَةٌ، وبَلدة دَفِيئَةٌ، وثَوب دَفِيءٌ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى فَعِيلٍ وفَعِيلَةٍ: يُدْفِئُكَ، وأَدْفَأَهُ الثوبُ وتَدَفَّأَ هو بِالثَّوْبِ واسْتَدْفَأَ بِهِ وادَّفَأَ بِهِ، وهو افْتعل، أَي لَبِسَ مَا يُدْفِئه.

قَالَ الْمُؤَرِّجُ: أَدْفَأْتُ الرجلَ إِدْفَاءً إِذَا أَعْطيْته عَطاءً كَثِيرًا، والدِّفْءُ: العَطِيَّة، وأَدْفَأْتُ القومَ أَي جَمَعْتُهم حَتَّى اجْتَمَعُوا، والإِدفاءُ: القَتل، فِي لُغَةِ بَعْضِ الْعَرَبِ.[1]

دفا: دَفَوْتُ الجريح أَدْفوهُ دَفْواً، إذا أجهزتَ عليه، وكذلك دافَيْتُهُ وأدفيته.[2]

ب- سياقات ورودها:

1- عَنِ الْمُجَالِدِ، قَالَ: " حَدَّثَنِي عَرِيفٌ لِجُهَيْنَةَ: أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِي بِأَسِيرٍ فِي الشِّتَاءِ فَقَالَ لِأُنَاسٍ مِنْ جُهَيْنَةَ: « اذْهَبُوا بِهِ فَادْفُوهُ »، قَالَ: " فَكَانَ الدَّفْو بِلِسَانِهِمْ

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج1 ص 575 76

[2] الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، الجوهري، ج6 ص 2338

عِنْدَهُمُ الْقَتْلَ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ ", فَسَأَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ، فَقَالُوا: " يَا رَسُولَ اللَّهِ , أَلَمْ تَأْمُرْنَا أَنْ نَقْتُلَهُ ", قَالَ: « وَكَيْفَ قُلْتُ لَكُمْ؟ » قَالَ: " قُلْتَ: «اذْهَبُوا بِهِ فَادْفُوهُ» ", قَالَ: " فَقَالَ: «قَدْ شَرِكْتُكُمْ , إِذَا اعْقِلُوهُ وَأَنَا شَرِيكُكُمْ » "، قَالَ: "فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ عَامِرًا ", قَالَ: " صَدَقَ " , وَعَرَفَ الْحَدِيثَ " [1]

ومعنى الحديث أنّ النَّبي صلّى الله عَلَيْهِ وَسلم أُتي بأسير يوعك فَقَالَ لقوم: " اذْهَبُوا بِهِ فأدفوه "" فَذَهَبُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ، فالنبيّ صلّى الله عَلَيْهِ وَسلم أَرَادَ الإدفاء من الدفء فحسبوه الإدفاء بِمَعْنى الْقَتْل فِي لُغَة أهل الْيمن.[2]

2- قال طُفَيْل الغَنَويّ:

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَراً حِينَ أَزْلَقَتْ بنَا نَعْلُنَ في الوَاطِئين فَزَلَّتِ
أبوا أن يَمَلُّــونَا وَأو أَنَّ أُمَّــنَا تُلاَقِي الَّذي يَلْقَوْن مِنَّا لَمَلَّتِ
فَذُو المَالِ مَوْفُورٌ وَكُلُّ مُعَصَّبٍ إلى حُجُرَاتٍ أَدْفــأَتْ وَأَظَلَّتِ
وَقَــالُوا هُلَــمَّ الدَّارَ حَتَّى تَبَيَّـنُوا وَتَنْجلِي الغَمَّاءُ عَمّــاَ تَجَلَّتِ
وَمِنْ بَعْــدِ مَا كُنَّا لِسَلمَى وَأَهْلِهَا قِطِيـناً وَمَلَّتْنَا البِــلاَدُ وَمُلْتِ.[3]

وفي البيت الثّالث من هذه القصيدة في قوله: إلى حُجُرَاتٍ أَدْفأَتْ وَأَظَلَّتِ جاءت مفردة (أَدْفــأَتْ) بمعنى السخونة، أي أنّها تقي من البرد.

وتقول العرب: " ليس شيء أدفأ من شجر، ولا أظل من شجر".[4]

أدفأ من شَجَرَة، جعلُوا كَثْرَة أوراقها وَأَغْصَانها دفئاً لَهَا، والدفء مَا يُتدفّأ بِهِ.[5]

3- قال ثَعْلَبَةَ بْنِ عُبَيْدٍ العدوي:

فَلَمَّا انْقضَى صِرُّ الشِّتَاءِ، وآنَسَتْ مِنَ الصَّيْفِ أَدْفاءَ السُّخُونةِ فِي الأرض

---

[1] الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، ج5 ص 470

[2] انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، ج1 ص 428

[3] الوَحشيَّات وهوَ الحمَاسَة الصُّغرى، أبو تمام، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، د. المعارف، القاهرة، ط. 3 251

[4] البيان والتبيين، الجاحظ، ج3 ص25

[5] جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، د. الفكر، بيروت، ج1 ص 456

وَحَكَى اللِّحْيَانِيُّ: أنّه سَمِعَ أَبا الدِّينَارِ يُحَدِّثُ عَنْ أَعرابية أنّها قَالَتْ: " الصِّلاءَ والدِّفاءَ " نصبَتْ عَلَى الإِغْراء أو الأَمْرِ.[1]

وأَنشد ابْن الأَعرابي :

يَبيتُ أبو لَيْلَى دَفِيئاً، وضَيفُه من القُرِّ، يُضْحِي مُسْتَخِفّاً خَصائلُه

ومَنْزِلٌ دَفِيءٌ، وبَلْدَةٌ دَفِيئَةٌ، وثَوْبٌ دَفِيءٌ، كُلُّ ذلك على فَعِيلٍ: يُدْفِئُكَ بهوائِه.[2]

وهنا في هذه الشواهد المفردات المشتقة من (ادفأ) كلها بمعنى السخونة.

وقَالَ سَاعِدَةُ يَصِفُ غَزَالًا:

يَقْرُوا أَبارِقَه، ويَدْنُو، تَارَةً بمَدافِئٍ مِنْهُ، بهنَّ الحُلَّبُ. [3]

ويصف هنا الغزال وهو يقترب من المكان الدافئ الذي تلجأ دائما إليه الحيوانات وسمّاه الشاعر بالمدافئ.

ج- خلاصة:

وجدنا لهذه المفردة في كتب المعاجم عدّة معاني، والمعنى الذي أراده النبي صلّى الله عليه وسلم في حديثه هو المعنى المتداول في كلام العرب وفي بيئة النبي صلّى الله عليه وسلم، وهو بمعنى الدفء المعروف عندنا وهو السخونة وهو المقصود في أغلب السياقات التي أوردناها، ولكن الحادثة التي جرت هو أنّ هؤلاء القوم من جهينة قد فهموا معنى آخر وهو القتل خاصة وأنّ الرجل الذي قصده النبي صلّى الله عليه وسلم بخطابه لهم إنّما هو أسير حرب، وهذه القصة لها دلالات كبيرة حول أهمية اللّغة واللّهجات الأخرى، فقد قتل شخص بسبب كلمة ظنّ القوم فيها أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم كان يقصد ما هو متداول ومعروف عندهم في لغتهم، أي بمعنى القتل والإجهاز، ولكن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يقصد معنى آخر وهو الدفء والإدفاء.

---

[1] تاج العروس، الزَّبيدي، ج1 ص 226

[2] المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ج9 ص 379

[3] لسان العرب، ابن منظور، ج 1 ص 76

المبحث التاسع:
مفردة الثّلْب

استعمل النبي صلّى الله عليه وسلم هذه المفردة بمعنى يختلف عن المعنى المتداول في لغة هذيل القريبة من مكة المكرمة، واستعملها في رسالته لهمدان.

أ- المعنى المعجمي:

الثّلب: ثَلَبَه يَثْلِبُه ثَلْباً: لامَه وعابَه وصَرَّحَ بِالْعَيْبِ وقالَ فِيهِ وتَنَقَّصَه.[1]

ويُقال: " مَثالِبُ الأمير وَالْقَاضِي" معايِبُه، ويُقال: " ثَلَبْت الرَّجُل "، أَي طَرَدْتُه.

وَقَالَ اللَّيْثُ: " الثّلْب: شِدَّة اللّوْم والأخْذ باللّسان "، والثّلْب: الشَّيخ. [2]

الثّلْب مِنْ ذُكُورِ الْإِبِلِ الّذي هَرِم وتَكَسَّرَت أَسْنَانه.[3]

وهوكذلك: الكبير الهمّ، يقال ذلك في البعير، والناقة ثلبة

الثّلبُ: الرمح الخوار، وقد ثلب: تكسّر.[4]

والثّلْب: الذئب المسنّ.[5]

ب- سياقات ورودها:

1- كِتَابَهُ صلّى الله عليه وسلم إِلَى هَمْدَانَ: « أَنّ لَكُمْ فِرَاعَهَا وَوَهَاطَهَا وَعَزَازَهَا، تَأْكُلُونَ عِلافَهَا، وَتَرْعُونَ عَفَاءَهَا، لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ وَالْأَمَانَةِ وَلَهُمْ مِنَ

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج1 ص 241

[2] تهذيب اللّغة، الأزهري، ج15 ص67

[3] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، ج1 ص 218

[4] مجمل اللّغة، أحمد بن فارس، ت. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.2 (1406هـ - 1986م)- ج1 ص 171

[5] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى، ت. د حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، د. الفكر المعاصر، (بيروت، لبنان) 1. الفكر (دمشق، سورية) ط.1) (1420هـ - 1999م)1 21 ص 870

الصَّدَقَةِ الثَّلْبُ، وَالنَّابُ وَالْفَصِيلُ وَالْفَارِض الدَّاجِنُ وَالْكَبْشُ الْحَوارِيُّ وَعَلَيْهِمُ فِيهَا الصَّالِغُ وَالْقَارِحُ ».[1]

وهذا الحديث مشهور عند اللغويين، وذلك لما استعمل فيه من مفردات غريبة عن المجتمع الذي كان يعيش فيه النبي صلّى الله عليه وسلم، وكأنّه صلّى الله عليه وسلم قصد لغة من كان يخاطب وهم همدان، فجاءت مفردات هذا الحديث كلها دالة على فصاحته واطلاعه الكبير على لغات العرب ولهجاتهم، ومن المفردات الغريبة في هذا الحديث مفردة (الثّلْبُ) ومعناها المقصود هنا هو الهَرِم من الإبل الذي سقطت أسنانه وتناثر هلب ذنبه.

2 – قال أبو زيد: نظر شيخ من الأعراب إلى امرأته تتصنع وهي عجوز فقال:

عَ:ـوز ترجّي أنْ تَكـونَ فَتيّة وقَدْ لحب الجَنْبانِ واحْدَوْدب الظّهر

تَدُسّ إلى العَطّارِ سِلْعة أَهْلِها وهَ: يُصْلِحُ العَطّارُ ما أَفْسَد الدّهر

فقالت امرأته:

أَلَمْ تر أنَّ النّاب تَحْلب عُلْبة ويُترك ثِلْبٌ لا ضِرابٌ ولا ظَهْر

قال: ثمّ استغاثت بالنساء، وطلب الرجال فإذا هم خلوف، فاجتمع النساء عليه فضربنه.[2]

في هذه القصة تهكم شيخ من الإعراب من زوجته التي كانت تتصنّع، بأبيات شعرية، لكن هذه العجوز ردّت عليه، ببيت آخر مثلت حالها وحاله بأنثى الإبل وذكرها فأما أنثى الإبل الهرمة وهي (الناب) فإنّها تبقى تحلب لمدة طويلة ويستفاد منها عند الكبر، أمّا (الثّلب) وهو الذكر الهرم من الإبل، فلا فائدة منه.

3 – قال الشاعر:

يُرَجُّونَ أَسْدَام المِيَاهِ بأَسْوَقٍ مَثَالِيبَ مُسْوَدٍّ مَآبِضُها أُدْرُ

والمثاليب من الثّلب وهو هنا بمعنى: الوسخ، يقال: " إنه لَثَلِبُ الجِلْدِ " ؛ أي: وَسِخٌ [3]

---

[1] المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، ابن حديدة محمد بن علي، ت. محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، ج2 ص 308، انظر: الفائق في غريب الحديث و الأثر، الزمخشري، ج3ص 434

[2] التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، د. صادر، بيروت، ط.1. 1417هـ، ج 9 ص 386

[3] اُنظر: الجيم، أبو عمرو الشيباني، ج1 ص 106

4- يقال في المثل: " لا يُحسِنُ التّعريضَ إلا ثَلْبا "

والتعريض هو الانتقاص والشتم والتصريح بالعيوب، والثّلب هو الذي يطعن في الأَنساب والمعنى هنا أنّه لا يحسن الشتم والسبّ إلا شتّاما وسبّابا.[1]

5- قال الشاعر:

لَقِينَا بِها ثِلْباً ضَـرِيراً كأنّه إلى كُلِّ مَنْ لَاقَى مِنَ النَّاسِ مُذْنِبُ

والثِّلْب هنا بمعنى الشيخ في لغة هُذَيْل.[2]

وقال أبو محمد عبد الله بن ربعيّ بن خالد الفقعسي:

إمّا تريني اليوم ثلباً شاخصاً أسود حلبوباً وكُنْت وابصا

فَقَدْ طَلَبت الظّعن الشّواخصا على جمال تَغْمُز المراهصا

غمزاً يبذّ جذبه الفرائصا.[3]

وهنا كذلك بمعنى المُسنّ والشيخ.

6- حَدِيثُ ابْنِ الْعَاصِ وقد كَتب إِلَى مُعَاوِيَةَ: " إِنَّك جَرَّبْتَنِي، فَوَجَدْتني لسْتُ بالغُمْر الضَّرَع، وَلَا بالثِّلْب الْفاني".

الغُمْر: الْجَاهِلُ، والضَّرَع: الضَّعيف.[4] والثلب الشيخ.

7- قَالَ أبو العيال الهُذَلِي:

وَقَدْ ظَهَرَ السَّوابِغُ فِيهِمُ والبَـيْضُ واليَلَبُ

ومُطَّـرِدٌ مِـنَ الخَـطِّيِّ لَا عارٍ، وَلَا ثَلِبُ

و(الخَـطِّيُّ) الرّمح، (لا ثلب) أي ليس بمَتَثَلِّم.[5]

---

[1] ينظر : معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم الفارابي، ت.دكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة د. الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة (1424هـ - 2003م) 2 ص 142

[2] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى، ج2 ص 870

[3] سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد البكري، ت. عبد العزيز الميمني، د. الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1 ص 148

[4] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، ج1ص 218

[5] لسان العرب، ابن منظور، ج1 ص 241

ج- خلاصة:

جاءت مفردة (الثّلب) في كلام النبي صلّى الله عليه وسلم بمعنى البعير الهرم، وقد وافق هذا المعنى ما جاء في قصة الشيخ وتلك العجوز التي كانت تتزين فتهكم عليها، وردت عليه ببيت شعري وردت فيه مفردة (الثلب) بمعنى البعير المسن، وجاءت كذلك بمعنى آخر يوافق لهجة قبيلة هذيل في سياقات أخرى منها قول أبي محمد عبد الله بن ربعيّ بن خالد الفقعسي:

إمّا تريني اليوم ثلباً شاخصاً أسود حلبوباً وكنت وابصا

وهناك عدة أمثلة تتناسب مع هذا، وهناك كذلك معاني أخرى، والمعروف أنّ قبيلة هذيل من قبائل الحجاز، ويذكر الهمداني منازلها فهي مما صاقبت مكة المكرمة[1] فلغتها إذن قريبة من لغة النبي صلّى الله عليه وسلم، لكن النبي صلّى الله عليه وسلم في رسالته إلى همدان استعملها بمعنى غير المعنى المتداول في قبيلة هذيل، وقد قصد بها الذَّكَر من الإبل الهرم، وإن لم نجد في كتب اللّغة أنّ كلمة الثّلب بمعنى البعير المسنّ تنسب إلى قبيلة همدان أو إحدى قبائل اليمن إلا إننا نعتقد ذلك، خاصة وأنّ المفردة نفسها تستعمل في قبيلة هذيل القريبة من مكة بالمعنى الذي يُطلق على الرّجل المسن.

وهناك فائدة أخرى؛ فالمتتبع لمعاني مفردة الثّلب، يجدها تشترك كلها في معنى النقص والعيب لكل من اتّصف بها ؛ فالهرم من الإبل، والشيخ المسن، والمتثلّم، و الشتّام، و الوسخ، كلها معاني انتقاص لما أطلقت عليه.

[1] صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص 288

المبحث العاشر:
مفردة المُدْية

استعمل النبي صلّى الله عليه وسلم هذه المفردة في عدة أحاديث بالمعنى الموجود في لهجة أهل اليمن، وقد استعمل كذلك مرادفتها من لهجة أهل الحجاز في أحاديث أخرى.

أ- المعنى المعجمي:

والمُدْيةُ والمِدْية: هي السكين والشَّفْرة، وَالْجَمْعُ مِدًى ومُدًى ومُدْيات، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ مُدْية فإِذا جَمَعُوا كسَروا، وآخرُون يقولون مِدْية فإِذا جمعوا ضَمُّوا، وَهَذَا مُطَّرِدٌ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ لِدُخُولِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى الأُخرى.[1]

وإِذَا ذُبِحَت الذَّبِيحَةُ بِهَا كَانَ ذَلِكَ مَدَاهَا1 وَإِلَى هَذَا أَشَارَ أبو عَلِيٍّ.[2]

وَالْمَدَى بِفَتْحَتَيْنِ الْغَايَةُ، وبَلَغَ مَدَى الْبَصرِ أَيْ مُنْتَهَاهُ وَغَايَتَهُ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : " وَلَا يُقَالُ مَدُّ الْبَصرِ بِالتَّثْقِيلِ ".[3]

والمُدْيُ: هو مِكْيالٌ لأَهْلِ الشَّام يَسَعُ خَمْسَةَ عَشَرَ مَكُّوكاً، والمَكُّوك صاعٌ ونصْف، وقيلَ: " أكثر مِن ذَلِك "، وقالَ ابنُ برِّي: " يَسَعُ خَمْسَةً وأَرْبَعِينَ رَطْلاً ".[4]

ب- سياقات ورودها:

1- عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قال: " خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمِرْبَدِ فَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ، وَأَقْبَلَ أبو بَكْرٍ فَتَأَخَّرْتُ لَهُ، فَكَانَ عَنْ يَمِينِهِ وَكُنْتُ عَنْ يَسَارِهِ، ثمّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَتَنَحَّيْتُ لَهُ فَكَانَ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَتَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِرْبَدَ، فَإِذَا بِأَزْقَاقٍ عَلَى الْمِرْبَدِ فِيهَا خَمْرٌ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: " فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُدْيَةِ "" قَالَ: " وَمَا عَرَفْتُ الْمُدْيَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، فَأَمَرَ بِالزِّقَاقِ فَشُقَّتْ " ثمّ قَالَ:

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج15 ص 273

[2] معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس، ج5 ص 307

[3] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ج2 ص576

[4] انُظر : تاج العروس، الزبيدي، ج 39 ص 515

« لُعِنَتِ الْخَمْرُ، وَشَارِبُهَا، وَسَاقِيهَا، وَبَائِعُهَا، وَمُبْتَاعُهَا، وَحَامِلُهَا، وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ، وَعَاصِرُهَا، وَمُعْتَصِرُهَا، وَآكِلُ ثَمَنِهَا ».[1]

وفي هذا الحديث الشّريف نادى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ابن عمر وأمره بالإتيان بالمدية وهي السكين بلغة أهل اليمن، لكي يشق بها سقاء الخمر، ولأنّ المفردة ليست من لهجة قريش، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: " ما عرفت المدية إلا يومئذ " والناظر لهذا الحديث يرى العجب في اطلاع النبي صلّى الله عليه وسلّم على لغات العرب في ذلك الزمان كما رأينا في المفردات السابقة.

2- عَنْ عَائِشَةَ، أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِي سَوَادٍ، وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ، وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ، فَأُتِيَ بِهِ لِيُضَحِّيَ بِهِ، فَقَالَ لَهَا: « يَا عَائِشَةُ، هَلُمِّي الْمُدْيَةَ »« ثُمّ قَالَ: « اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ »، ففَعَلَتْ» ثُمّ أَخَذَهَا، وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ، ثُمّ ذَبَحَهُ، ثُمّ قَالَ: « بِاسْمِ اللهِ، اللهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، ثُمّ ضَحَّى بِهِ ».[2]

وفي هذا الحديث كذلك استعمل النبي صلّى الله عليه وسلم المفردة بنفس المعنى السابق.

3- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: " إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ "، وَقَالَتِ الأُخْرَى: " إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ "، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: " ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: " لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هو ابْنُهَا فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى "" قَالَ أبو هُرَيْرَةَ: " وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ قَطُّ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا المُدْيَةَ ".[3]

ورووا كذلك أنّ أبا هريرة لما قدم من دَوْس عام خيبر، لقيَ النّبي صلّى الله عليه وسلم وقد وقعت من يده السكين، فقال له: " ناولني السكين "" فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ، فكررّ له القول ثانية وثالثة، وهو يفعل كذلك، ثمّ قال: " آلمدية

---

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج9 ص 288

[2] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ج3 ص 1557، انظر: النهاية في غريب الحديث و الأثر، ابن الأثير الجزري، ج2 ص 449

[3] صحيح البخاري، البخاري، ج8 ص 156

تريد؟ " وأشار إليها، فقيل له: " نعم "" فقال: " أَوَ تُسَمَّى عِنْدَكم سِكِّينًا؟ "" ثمّ قال: " والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ "، ودَوْس بطن من الأزد.[1]

وفي هذين الحديثين نرى أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قد استعمل مفردة أخرى وهي السكين للدلالة على المدية أو الشفرة التي يذبح بها، وهذا من فصاحته صلّى الله عليه وسلم، فقد أمدّ اللّغة العربية ثروة من المفردات وأحيى الكثير من المترادفات، أما أبو هريرة الذي هو من قبيلة دوس وهي من الأزد؛ من القبائل اليمنية، فهو بطبيعة الحال لم يكن يسمع بهذه الكلمة حتى سمعها على لسان رسول الله الكريم.

4- فِي حَدِيث الْأَحْنَف أنّه قَالَ لعَلي رضي الله عنه يَا أَبَا الْحسن إنّي قد عجمت الرجل وحلبت أشطره فَوَجَدته قريب القعر كليل المدية. يَعْنِي: أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيّ.[2]

وكليل المدية أي السكين الذي لا حد له.

5- ومن الأمثال العربية: (لَا تَكُ كالعَنْز تبحث عَن المُدْية).[3]

وقال شاعر حول هذا:

وَكَانَ كعنز السوء قَامَت بِظِلْفِها إِلَى مُدْية تَحت التُّرَاب تثيرها

وَقَالَ غَيره:

وَكَانَ كعَنْزِ يَوْم جَاءَت لِحَتْفِها إِلَى مُدْية مَدْفونة تَسْتَثيرُها.[4]

والمدية هنا هي السكين كما مرّ بنا في السياقات السابقة، وهذا المثل يضْرب للجاني على نَفسه جِنَايَة يكون فِيهَا هَلَاكه، وَأَصله أنّ رجلا كَانَ جائعاً بالفلاة فَوجدَ عَنْزاً وَلم يجد مَا يذبحها بِهِ، أو قيل أنّه كانت لديه مدية، وضاعت منه في الأرض، فبحثتْ بِيَدَيْهَا وأثارت عَن المُدْيةِ، فذبحها بهَا.[5]

6- أنْشد ابْن الْأَعرَابِي:

أَرْمي وإِحدى سِيَتَيْها مَدْيَهْ إن لم تصب قلباً أَصَابَت كُلية

---

[1] تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج 1 ص 108

[2] غريب الحديث، ابن قتيبة، ج2 ص 535

[3] تهذيب اللّغة، الأزهري، ج2 ص84

[4] جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، ج1 ص364

[5] انُظر: تهذيب اللّغة، الأزهري، ج2 ص84

قَالَ سَمِعت أَبَا عرْعرة الْكَلْبِيّ يَقُول: هِيَ المدية وَهِي كَبِدُ الْقوس وَأَنْشد هَذَا الْبَيْت.[1]

ج- خلاصة:

للدلالة على الشفرة استعمل النبي صلّى الله عليه وسلم مفردة المدية بلغة أهل اليمن في حديث عبد الله بن عمر وحديث عائشة رضي الله عنهما، حتى قال ابن عمر رضي الله عنه: " ما عرفت المدية إلا يومئذ "، وهذا المعنى موجود في جميع السياقات التي أوردناها من كلام العرب، منها المثل الذي يقول: (لَا تَكُ كالعَنْز تبحث عَن المُدْية)، وقد استعمل النبيّ صلّى عليه وسلم لهذا المعنى مفردة أخرى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه هي (السكين)، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: " وَاللَّهِ إن سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ قَطُّ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا المُدْيَةَ "، والسكين هو المشهور في كلام العرب، وقد رأينا النبي عليه السلام تارة يستعمل مفردة (المدية) وتارة أخرى يستعمل مفردة (السكين) ويبدو أنّ هذا التداول في تغيير المفردات مفاده إظهار الفصاحة والإعجاز فالمقام يستلزم ذلك، فعندما خاطب عبد الله بن عمر القرشي استعمل مفردة (المدية)، وعندما خاطب أبا هريرة الأزدي استعمل مفردة (السكين)، وتكَلُّم النبي صلّى الله عليه وسلم بهذه اللّهجات هو من بلاغته وفصاحته، فلم نجد من البشر قبله ولا بعده من كشفت له كنوز اللّغة وثرواتها من المفردات ليستعمل ما يشاء ومتى يشاء من مفرداتها.[2]

[1] المصدر السابق، ج14 ص 155

[2] قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار، محمد عبد المنعم خفاجى، مكتبة الكليات الأزهرية، ص 164

المبحث الحادي عشر:

جدول إحصائي: للمفردات النبويّة حسب انتمائها اللّهجي بناء على المدونة المدروسة.

الرقم	المفردة	معناها في الاستعمال النبويّ	انتماؤها اللّهجي	معناها الموجود في اللّهجات الأخرى
01	مَهْيَم	أي ما أمركم و شأنكم ؟	يمانية	/
02	تُعَنِّكيها	المشقة والضّيق والمنع	يمانية	النشوز والعصيان أو الظلمة
03	اُنط	اُسكت	يمانية	/
04	لُكَع	الطفل	تميمية	العبد و اللئيم وغيره
05	تستأنسوا	تستأذنوا	يمانية	أبصرت و استعلمت وسمعت وغيرها
06	التّساخين	الخفاف	يمانية	المراجل أو غطاء الرأس
07	راح	ذهب على إطلاقها	حجازية	الذهاب في المساء
08	أدفوه	السّخونة	حجازية	القتل بلغة أهل اليمن
09	النّلب	الهرم من الإبل	يمانية	الشيخ بلغة هذيل
10	المُدية	السكين والشفرة	يمانية	السكين بلغة أهل الحجاز

هذا الجدول يمثل المفردات التي جاءت في الحديث النبويّ، حسب انتمائها اللّهجي الذي استعمله النبي صلّى الله عليه وسلم، والتي استطعنا أن نحصيها وندرسها، وذلك اعتمادا على عَزْو العلماء واللغويين القدماء للمفردات إلى لهجاتها.

مخطط دائري ثلاثي الأبعاد: لنسبة اللّهجات في مفردات الحديث النبويّ بناء على المدونة المدروسة.

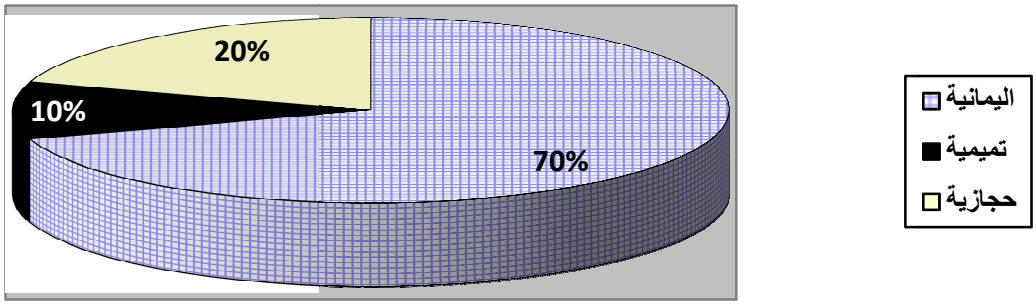

هذا المخطط الدائري يمثل نسبة اللّهجات الموجودة في الحديث النبويّ الشّريف، من خلال المفردات المدروسة، واعتمادا على عَزْو العلماء واللغويين القدماء للمفردات إلى لهجاتها.

خلاصة:

في هذه الدراسة اعتمد على مدونة متكونة من عشرة أحاديث أساسية للنبي عليه السلام تحتوي على عشر مفردات تنتمي إلى لهجات عربية، وقد حاول 27. حصي جميع السياقات والاستعمالات اللغوية لهذه المفردات، من خلال القرآن الكريم أو الحديث النبويّ 27 كلام العرب متمثلا في الشعر أو الأمثال العربية أو الخطب، وغيرها ن وجدت، والذي اكتشفته من هذه السياقات جميع استعمالات النبي صلّى الله عليه وسلم، قد وافقت لهجة معينة تكون في غالب الأمر خارج لهجته الأصلية (الحجازية القرشية)، وقد لاحظ اللّهجة اليمنية تمثل نسبة 70%، أي بسبع مفردات، استعمل فيها النبي عليه السلام هذه المفردات بنفس المعنى والاستعمال اليمني، ثمّ جاءت اللّهجة الحجازية بنسبة 20%، وهنا قول هذه النسبة لا تمثل فعلا النسبة اللّهجية للهجة قريش في كلام النبي صلّى الله عليه وسلم، وإنما تمثلها بالنسبة للمدونة الموجودة عندنا، والمعروف النبيّ قرشي والقرآن نزل

بلهجة قريش، ومن هنا أ كلام النبي صلّى الله عليه وسلم جل لهجته قرشية، والذي جعلني أعتمد على هذه المدونة فقط من الأحاديث هو البحث عن التنوعات اللّهجية الخاصة بالمفردات المعجمية غير لهجة النبي صلّى الله عليه وسلم، وكذا وجود إقرار لأحد العلماء القدماء أنّ هذه المفردة أو تلك تنتمي لهذه اللّهجة أو لتلك، وتأتي في الأخير اللّهجة التميمية في المرتبة الثّالثة بنسبة 10%، وهذه النسب التي توصلنا إليها تحقق لنا الهدف الذي كنا نصبوا إليه وهو إثبات أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم كان يتكلم ويخاطب جميع القبائل العربية بلهجاتم ومفرداتهم التي تعودوا عليها وانحصرت في بيئتهم الضيّقة.

خاتـــــمة

من خلال دراستنا للهجات العربية القديمة التي كانت تشكل العربية الفصحى، والبحث في مدونة الحديث الشّريف التي تعد جزءا منها، ومحاولة البحث عن ذلك التنوع اللّهجي في مفردات الحديث النبويّ توصّلنا إلى عدة نتائج نلخصها فيما يلي:

1- عندما عرّجت على مفهوم اللّهجة واللّغة بالمفهوم الحديث وجدت أنّ العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، ووجدت أنّ كل ما يصدق عليه أنّه لهجة يصدق عليه أنّه لغة وليس العكس.

2- رأيت كذلك أنّ للّغويين المحدثين من خلال تناولهم للتراث واستعمال القدماء لمفردة لغة، إشكال كبير وتداخل في المفاهيم، فالكثير منهم يرى أنّ استعمال القدماء لمفردة لغة من أمثال سيبويه وغيره كان مقصودهم منه اللّهجة بالمعنى الحالي (dialect)، والحقيقة أنّ مقصود القدماء من لفظة لغة هو كيفية خاصة في استعمال العرب أو جماعة منهم لعنصر خاص من عناصر العربية ولا يطلق على لهجة بأكملها أي على لسان خاص بقبيلة أو إقليم، وهذا الذي ذهب إليه البروفيسور عبد الرحمان الحاج صالح في كتابه السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة.

3- إنّ من المشكلات الكبيرة التي تواجه الدارسين للهجات العربية القديمة، مشكلة المصادر فلم يصلنا من الدراسات القديمة على حد علمي، إلا ما كان منثورا في كتب اللّغة والمعاجم، والكثير من الكتب التي تحمل عنوانا بـ: (اللغات، أو لغات كذا وكذا) أَوْرَدها العلماء أنّها كتب في اللّهجات، لكن لم يصلنا منها شيء، عدا كتابين قد ذكرتهما في الفصل الأوّل.

4- عندما تطرّقت إلى موضوع الحديث النبويّ الشّريف اكتشفت أنّ هذه المدونة لها من الأهمية ما يجعلها تأتي في المرتبة الثّانية بعد القرآن الكريم، وذلك لما فيها من الكنوز، ولو أنّ اللغويين أعطوها ثلث ما أعطوه لدراسة كلام العرب من الاهتمام والبحث والدراسة الجادة لاستفادت الأمة ولزخرت المكتبة العربية والإسلامية بكمّ هائل من الدراسات القيمة .

5- الحديث النبويّ الشّريف كمدونة في الدراسات اللغوية، تأتي قيمته من جانبين أساسيين:

فالأول من حيث أنّه كلام الرسول صلّى الله عليه وسلم فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ويقول عن نفسه: « أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش ».

أما الجانب الثّاني فلا نعلم كلاما بعد الكلام الله اُعتني به مثل ما اُعتني بالحديث النبويّ الشّريف، فقد بذل العلماء جهودا كبيرة للحفاظ على متنه من الزيغ والكذب عليه صلّى الله عليه وسلم، حتى أُسس علم يعد من أشرف العلوم وفيه سبق العرب غيرهم بقرون، يدعى (علم الجرح والتعديل) قد انبرى فيه علماء الحديث للتصدي للكذّابين والوضّاعين للحديث، والوقوف لهم بالمرصاد وبيان حال كل شخص وُ – كان من كان – في سند الحديث، ومن ثمّ تقسيم الحديث عبر آليات أخرى إلى ضعيف وصحيح وحسن وموضوع وغيرها من التقسيمات.

6- اعتقد الكثير من العلماء أنّ الحديث النبويّ لم يدون إلا بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وسلم ومرور مائة سنة هجرية، وبقيت هذه الفكرة سائدة عدة قرون إلى أن جاء الخطيب البغدادي رحمه الله وأثبت من السنة النبويّة في كتابه (تقييد العلم) أنّ الكثير من الصحابة كان يكتب الحديث النبويّ والرسول حي وبين أظهرهم.

7- إن الدارس للمفردات المعجمية في اللّغة العربية عامة وفي الحديث النبويّ خاصة يجد فيها الكثير من الألفاظ الغريبة والمترادفات والأضداد وغيرها من المشترك اللفظي وهذا الزخم من المفردات يبدي للدارس أنّها تنتمي إلى لهجات عربية متنوعة، فالسكين والمدية مثلا يطلقان على الشفرة التي تذبح بها الذبائح، والمفردتين هاتين كل واحدة منهما تنتمي إلى لهجة معينة، والانتماء اللّهجي هذا عرفناه من القدماء، والمفردات المنسوبة إلى لهجاتها قلة قليلة جدا إذا قورنت بالمفردات الموجودة في كتب اللّغة والمعا فقد أتت فيها مطلقة دون أن تنسب إلى لغة معينة، وهذا يعد إشكالا كبيرا بالنسبة للدارسين للهجات القديمة، ويتطلب عملا جبارا من طرف الباحثين اللغويين، والمجامع اللغوية لإنشاء أول معجم عربي ينسب المفردات إلى لهجاتها.

8- إن الحديث النبويّ الشّريف موجّه إلى كافة الناس من عرب وعجم، فقد جاء كلامه صلّى الله عليه وسلم بسيطا دون تكلف، وفي نفس الوقت فصيحا بليغا، فالغاية منه هداية الناس، ولهذا وُجدت فيه الكثير من المفردات التي تُعزى إلى لهجات عربية غير لهجة قريش.

9- إن استعمال النبي صلّى الله عليه وسلم للكثير من المفردات التي تنتمي إلى لهجات عربية، غير لهجة قريش، كان مقصده في غالب الأحيان حول أمرين اثنين:

فالأول: يكون فيه قصد النبي صلّى الله عليه وسلم مخاطبة أحد الأفراد أو قبيلة، باللّهجة التي يتكلمونها، وذلك للتيسير على الناس، و إيصال الشرائع الإسلامية إليهم دون عناء، و من ثمّ القدرة على فهم هذا الدين و فرائضه.

أمّا الأمر الثّاني: فالمقصد فيه إظهار بلاغة و فصاحة النبي محمد صلّى الله عليه وسلم من خلال استعمال بعض المفردات، التي تتداول في بيئات ضيّقة و بعيدة جدا عن قريش.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1) القرآن الكريم، رواية حفص

2) ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (1399هـ - 1979م) د/ط

3) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، المحقق: عبد اللطيف الهميم، ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (1423هـ - 2002م)

4) ابن بطال، شرح صحيح البخارى، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثّانية، (1423هـ - 2003م)

5) ابن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، (1421هـ- 2000م)

6) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، 1999م

7) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، د/ط

8) ابن حديدة محمد بن علي، المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، المحقق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت

9) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1982م

10) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة د82 1/ت

11) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ

12) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثّانية، (1408هـ - 1988م)

13) ابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (1417هـ، 1996م)

14) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1421هـ - 2000م)

15) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ، د/ط

16) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ

17) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 1423هـ

18) ابن فُورَّجَة الفتح على أبي الفتح، ابن فُورَّجَة، المحقق: عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، الطبعة الثّانية، 1987م

19) ابن قتيبة غريب الحديث، المحقق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، 1397هـ

20) ابن قتيبة الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ

21) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء 8، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثّانية (1420هـ - 1999م)

22) ابن وكيع التنيسي، المنصف للسارق والمسروق منه، حققه وقدم له: عمر خليفة بن إدريس، جامعة قات يونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1994م

23) أبو الوليد الباجي المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1332هـ

24) أبو بكر الخرائطي مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، (1419هـ - 1999م)

25) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، المحقق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (1412هـ -1992)

26) أبو تمام، الوَحشيَّات وهو الحمَاسَة الصُّغرى، أبو تمام، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثّالثة، د/ت

27) أبو عبد الله الزبيري، نسب قريش، المحقق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثّالثة، د/ت

28) أبو عبيد القاسم بن سلام، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمّانية، حيدر أباد، الدكن، الطبعة الأولى، 1964

29) أبو عمروالشيباني الجيم، المحقق: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، (1394هـ - 1974م)

30) أبو هلال العسكري جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، د/ط 1/ت

31) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1421هـ - 2001 م)

32) أحمد بن فارس معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (1399هـ - 1979م)) د/ط

33) أحمد بن فارس، مجمل اللّغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثّانية (1406هـ - 1986م)

34) الأزهري تهذيب اللّغة، الأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م

35) البخاري صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة الأولى، 1422هـ

36) بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د/ط 22 1/ت

37) البكري، أبو عبيد سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: د/ط 22 1/ت

38) البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثّالثة، 1403هـ

39) البيهقي، المدخل إلى السنن الكبرى، البيهقي، المحقق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، د/ط، 1403ت

40) البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، (1423هـ - 2003م)

41) الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثّانية، (1395هـ - 1975م)

42) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، 1998

43) جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1418هـ - 1998م)

44) جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو ، قرأه وعلق عليه: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، (1426هـ - 2006): د/ط

45) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1411هـ - 1990م)

46) الخالديان: أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبو عثمّان سعيد بن هاشم الخالدي حماسة الخالديين بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، المحقق: الدكتور محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 1995 د/ط

47) الخطابي، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي, وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر(1402هـ - 1982م) د/ط

48) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، إحياء السنة النبويّة، بيروت، د/ط، 1382ت

49) الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (1412هـ - 2000م)

50) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (1408هـ – 1988م)

51) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثّانية /ت

52) سيبويه، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثّالثة، (1408هـ – 1988 م)

53) الشاطبي إبراهيم بن موسى، المقاصد الشافية، الجزء 3، تحقيق: عياد بن عيد الثّبيتي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث العربي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (1428هـ – 2007م)

54) الشوكاني فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ

55) صديق حسن خان القِنَّوجي الحطة في ذكر الصحاح الستة، دار الكتب التعليمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1405هـ – 1985م)

56) الطبراني المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثّانية، د/ت

57) عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، (1418هـ – 1997م)

58) عبد الملك بن هشام، السيرة النبويّة، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثّانية، (1375هـ – 1955م)

59) الفارابي أبوإبراهيم، معجم ديوان الأدب، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة (1424هـ – 2003م) د/ط

60) الفاكهي أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثّانية، 1414هـ

61) الفراء يحي بن زياد معاني القرآن، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، د/ت

62) الفيومي أحمد بن محمد المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د/ط 1/ت

63) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، 1984هـ، د/ط

64) القرطبي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثّانية، (1384هـ - 1964م)

65) القزويني زكريا بن محمد آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د/ط 1/ت

66) القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، القلقشندي، المحقق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثّانية، 1402هـ

67) مالك بن أنس بن مالك المدني، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الطبعة الأولى، (1425هـ - 2004م)

68) المبرد، الكامل في اللّغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثّالثة، (1417هـ - 1997م)

69) المرزوقي شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، المحقق: غريد الشيخ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1424هـ - 2003م)

70) مسلم بن الحجاج صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د/ط 2/ت

71) النَّسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (1421: 2001)

72) نشوان بن سعيد الحميرى، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، (بيروت، لبنان)، دار الفكر (دمشق، سورية) الطبعة الأولى، (1420هـ - 1999م)

73) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثّانية، 1392هـ

74) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، 1990م

75) ياقوت الحموي معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثّانية، 1995م

قائمة المراجع:

76) إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، د/ط 1/ت 95

77) أحمد تيمور باشا، لهجات العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د/ط 1/ت 95

78) أحمد علم الدين الجندي، اللّهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، 1983م1 د/ط

79) أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، (1409هـ - 1989م)

80) بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر و التوزيع، القاهرة، ط.1 2010.

81) حاتم صالح الضامن، الاستشهاد بالحديث في اللّغة والنحو ، عن مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي 2002 د/ط

82) خديجة الحديثي، موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبويّ، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات (265)2 1981م2 د/ط

83) رفاعة رافع الطهطاوي، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، دار الذخائر القاهرة، الطبعة الأولى، 1419هـ

84) شيم رابين اللّهجات العربية القديمة، ترجمة عبد الكريم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م

85) صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم، اللّهجات العربية في معاني القرآن للفرّاء، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1986م

86) عائشة بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، الطبعة الثّالثة /ت

87) عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوى العلمى عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، 2007، د/ط

88) عبد الغفار حامد هلال، اللّهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثّانية، د/ت

89) عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، فقه اللّغة بين النظر والتطبيق، مطبعة حسان، القاهرة، الطبعة الثّانية، 2005م

90) عبد الله عبد الجبار، قصة الأدب في الحجاز، محمد عبد المنعم خفاجى، مكتبة الكليات الأزهرية، د/ط، د/ت

91)عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط.1، 2001

92) عبده الراجحي، اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، د/ط

93) عماد علي جمعة، المكتبة الإسلامية، سلسلة التراث العربي الإسلامي، الطبعة الثّانية (1424هـ - 2003م)

94) غالب فاضل المطلبي، لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، د/ط، د/ت

95) فندريس، اللّغة، تعريب: عبدالحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلومصرية، د/ط، د/ت

96) محمد أحمد خاطر، في اللّهجات العربية، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1979، د/ط

97) محمد أسعد النادري، فقه اللّغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، بيروت، 2009، د/ط

98) محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية، (دمشق- بيروت)، الطبعة الأولى، 1411هـ

99) محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، المكتب الإسلامي ومكتبة دار الفتح، دمشق، الطبعة الثّانية، (1380 1960م)

100) محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، الطبعة الثّانية، 1971م

101) محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثّالثة، (1400هـ – 1980م)

102) محمد محمد أبو شُهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبه السنة، القاهرة، الطبعة الثّانية، (1423هـ – 2003م)

103) محمد مطر الزهراني، تدوين السنة النبويّة نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى (1417هـ – 1996م)

104) محمد ناصر الدين الألباني، مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي، الجزء 2، مكتَبَة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، (1422هـ – 2002م)

105) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002 1/ط.

106) محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة السابعة، د/ت

107) محمود فجال، الحديث النبويّ في النحو العربي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثّانية، (1417هـ – 1997م)

108) مصطفى بن حسني السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، (دمشق – بيروت)، الطبعة الثّالثة، (1402هـ – 1982م)

109) مصطفى صادق الرافعي تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م

110) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة (1425هـ – 2005م)

111) مجموعة القرارات العلمية، مجمع اللّغة العربية في خمسين عامًا (1934 – 1984)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية (1404هـ – 1984م) د/ط

قائمة المعاجم والقواميس:

112) ابن منظور، لسان العرب، صادر، بيروت، الطبعة الثّالثة، 1414هـ

113) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (1399هـ - 1979م) 3 د/ط

114) الجوهري، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة، (1407هـ - 1987م)

115) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د/87 1/ت

116) عمر رضا كحالة معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 1997

117) الفيروزآبادى القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، (1426هـ - 2005م)

118) معجم اللغة العربية المعاصرة، د احمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط.1 1 2008.

قائمة البحوث والمجلات:

119) باديس لهويمل، السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم متابعة تداولية، مجلة أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، العدد 9، بسكرة، 2013

120) حسن جاد) البلاغة النبويّة وتأثيرها في النفوس، مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد 5

121) حسين عودة هاشم، التداولية و المجاز دراسة ابستيمولوجية، مجلة آداب ذي قار، العدد5، المجلد2 جامعة البصرة، شباط 2012.

122) عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، مجلة دراسات أدبية، العدد1، الجزائر، ماي 2008.

123) عبد المحسن القيسي، قضية الاستشهاد بالحديث النبويّ الشّريف في النحو العربي، مجلة الإسلام في آسيا، المجلد السابع، العدد 2، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ديسمبر 2010
124) سحالية عبد الحكيم، التداولية، مجلة مخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، العدد 5، مارس 2009.
125) محمود حسن هنداوي، إثبات الأحكام النحوية بالأحاديث النبويّة، محمود حسن هنداوي، مجلة مركز بحوث ودراسات، المدينة المنورة، العدد 30
126) محمد عبد القادر هنادي، الاحتجاج بالحديث النبويّ عند الإمام بدر الدين العيني، محمد عبد القادر هنادي، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد 8

قائمة الرسائل الجامعية:

127) صالحة راشد غنيم آل غنيم، اللّهجات العربية في الكتاب لسيبويه، أصواتا وبنية (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، 1403هـ
128) عبد الله بن عبد الرحمان بن سعد العياف، اللّهجات العربية في كتاب سيبويه، (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى، 2002م

فهرس
الموضوعات

مقدمــة:.....06
الفصل الأول :**اللّهجات العربية القديمة**.....13
المبحث الأول :اللّغة و اللّهجة مفاهيم وإشكاليات: 14
أ) تعريف اللّغة: 14
أ –1 لغة:.....14
أ –2 اصطلاحا:.....14
ب) تعريف اللّهجة: 15
ب –1 لغة: 15
ب –2 اصطلاحا:.....16
ج) العلاقة بين اللّغة واللّهجة: 16
ج– 1 من حيث العناصر و الخصائص: 17
ج– 2 من حيث المكان: 17
د) تداخل المفاهيم بين (اللّغة و اللّهجة) عند المحدثين..:.....18
ه) اللّهجات العربية وعلماء اللّغة: 19
ه–1 القدماء: 19
ه–2 المحدثون: 20
و) بعض الدراسات القديمة للهجات:.....21
المبحث الثّاني : جغرافيا القبائل العربية:.....22
أ) الجزيرة العربية:.....22
ب) أقسام الجزيرة العربية: 23
ب– 1 الحجاز:.....23
ب– 2 العروض:.....24
ب– 3 تهامة:.....25
ب– 4 نجد. :.....26

ب- 5 اليمن: 26
المبحث الثّالث : القبائل العربية و مواطنهم: 28
أ) طبقات الأنساب: 28
ب) القبائل العربية: 28
ب- 1 القحطانيون: 28
الفرع الأول :حمير 29
الفرع الثّاني :كهلان 31
ب- 2 :العدنانيون 33
الفرع الأول : مضر 33
الفرع الثّاني : ربيعة 36
المبحث الرابع :نشأة اللّهجات العربية: 37
أ) الأسباب الجغرافية: 37
ب) الأسباب الفردية: 38
ج) الأسباب الاجتماعية: 38
د) الصراع اللغوي: 39
المبحث الخامس :مستويات الاختلافات اللّهجية: 40
أ) الاختلاف على المستوى الصوتي: 40
ب) الاختلاف على المستوى الصرفي: 43
ج) الاختلاف على المستوى النحوي: 44
د) الاختلاف على المستوى الدلالي: 46

الفصل الثّاني :الحديث النبويّ الشّريف 49
المبحث الأول : تعريف الحديث: 50
أ) لغة: 50
ب) اصطلاحا: 50
المبحث الثّاني :البلاغة النبويّة: 52
أ) أقوال العلماء في فصاحة الرسول صلّى الله عليه وسلم. 52
ب) جوامع كلمه صلّى الله عليه وسلم: 55

ج) عبارات لم تُسمع قبله صلّى الله عليه وسلم:.....56
د) خطبه صلّى الله عليه وسلم:.....57
المبحث الثّالث :تدوين الحديث:.....59
أ) المرحلة الأولى: 59
ب) المرحلة الثّانية:.....60
ج) المرحلة الثّالثة:.....62
المبحث الرابع :أشهر كتب الحديث: 65
أ) صحيح البخاري:.....65
ب) صحيح مسلم: 66
ج) سنن أبي داود:.....67
د) سنن النَّسَائي: 68
هـ) سنن الترمذي أو الجامع الصحيح.....69
و) سنن ابن ماجه: 70
ز) مسند الإمام أحمد:.....70
ح) موطأ الإمام مالك: 71
ط) غريب الحديث للخطابي:.....72
ي) النهاية في غريب الحديث والأثر: 72
المبحث الخامس :الاستشهاد بالحديث النبويّ:.....73
أ) موقف اللغويين من الاستشهاد بالحديث النبويّ:.....73
ب) موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبويّ: 74
الفئة الأولى :المجيزون.....74
الفئة الثّانية :المانعون 76
الفئة الثّالثة :المتوسطون بين المنع والجواز 77
المبحث السادس :الردّ على دعاوي المانعين للاستشهاد.....80
أ) دعوى رواية الحديث بالمعنى: 80
ب) دعوى اللحن والخطأ:.....81
ج) دعوى تدوين الحديث بعد فساد اللّغة:.....82

المبحث السابع :الأحاديث النبويّة في كتب الأوائل: 83

الفصل الثّالث :**دراسة تداولية للتنوعات اللّهجية في مفردات الحديث النبويّ**.....87
المبحث الأول: مدخل الى التداولية.....88
المبحث الثّاني: مفردة مَهْيَم.....93
المبحث الثّالث: مفردة تُعَنِّكيها.....97
المبحث الرابع: مفردة أُنط ومفردة التّساخين.....100
المبحث الخامس : مفردة لُكَع.....103
المبحث السادس: مفردة تَسْتَأنِسوا.....106
المبحث السابع: مفردة رَاحَ.....112
المبحث الثامن: مفردة أدْفوه.....116
المبحث التاسع: مفردة الثِّلب.....119
المبحث العاشر: مفردة المُدْية.....123
المبحث الحادي عشر: جدول إحصائي ومخطّط دائري.....127
خاتمـــــــــــة: 130
قائمة المصادر والمراجع: 134
فهرس الموضوعات: 146

Les variations dialectales dans le vocabulaire du Hadith
Étude pragmatique des Hadiths du Prophète prière et salut sur lui

Résumé:

Notre Prophète était envoyé avec le message, et ordonné de le transmettre à toute l'humanité, il était le plus éloquent, il pouvais parler à des tribus arabes qui venaient à lui avec des accents et des langues même les Sahabas étaient émerveillés de lui, et pour cela, il y avait beaucoup de vocabulaires qui appartiennent à des dialectes de l'arabe que ce de la Qouraysh.

Sur ces variations dialectales dans le Hadith, ma recherche intitulé:

« Les variations dialectales dans le vocabulaire du Hadith »

Étude pragmatique des Hadiths du Prophète prière et salut sur lui
Cette recherche a été divisée en une introduction et trois chapitres et une conclusion:

Le premier chapitre s'intitulé « les dialectes arabes anciens », là où j'ai défini la langue et le dialecte et la relation entre eux. Ensuite, j'ai déclaré la position des savants de dialectes, j'ai parlé également des études anciennes qui traitaient les dialectes. Après, j'ai parlé de la géographie des tribus arabes en particulier l'île arabe et ses grandes divisions, puis j'ai bien détaillé en parlant sur la célèbre division des tribus arabes (Aladenaon et Qahtaon) en mentionnant les tribus qui leur appartiennent, et la location de chaque tribu. A la fin de ce dernier chapitre, j'ai parlé des raisons de l'émergence des dialectes arabes et les variations des niveaux dialectals.

En ce qui concerne le deuxième chapitre, j'ai l'approprié de parler du Hadith, j'ai défini le Hadith (langue et idiomatique), et j'ai montré l'éloquence du Prophète prière et salut sur lui à travers les citations de certains linguistes qui ont impressionné en face de son éloquence, et

certains modèles qui confirment cela, et j'ai vu qu'il était important de parler de l'enregistrement des Hadiths et les phases qu'il a eu.Puis, j'ai cité les livres les plus importants, et qui sont écrits dans le Hadith majeur. J'ai conclu ce chapitre sur la question de citation du Hadith, et la position de linguistes sur lui, puis la position des grammairiens qui ont été divisés en trois groupes, ceux qui ont permi de la citation du Hadith, ceux qui ont interdit la citation du Hadith, et ceux qui ont resté au milieu.J'ai répondit à ces revendicateurs qui ont interdit la citation du Hadith.

Dans le troisième chapitre, j'ai fait une étude pratique d'une partie du vocabulaire trouvé dans les Hadiths du prophète prière et salut sur lui, et mon plan était que je mentionne le sens lexical puis je donne les contextes et les utilisations langagières du mot, puis j'explique les sens et les significations intentionnelles. Je termine en essayant de trouver une relation entre les significations que notre Prophète veut nous faire transmettre et le sens pragmatique dans les autres utilisations langagières de la poésie, des discours, et les proverbes arabes. A la fin de ce chapitre, j'ai fait un tableau statistique du vocabulaire étudié et adapté à chaque signification individuelle dans l'utilisation du Prophète et l'affiliation dialectale puis son sens dans les autres dialectes, et dû à ce tableau, j'ai placé un camembert en trois dimensions du pourcentage des accents arabes dans le vocabulaire du Hadith, et j'ai conclu par un résumé de tout cela.

Enfin, j'ai fait une conclusion de cette recherche, j'ai ajouté un grand nombre des résultats obtenus sur les dialectes et le Hadith et et les variations dialectales dans le Hadith.